

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المُسْلِمُونَ

الاستطلاعات

١٠٠ من سنة كاملة  
٦٠ من نصف سنة  
لطلاب وجنود الجيش  
٨٠ من سنة كاملة  
٤٠ من نصف سنة  
٢٥ من ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

صاحب الاستطلاع  
ورئيس التحرير  
سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع المنيل  
بالروضة بالقاهرة  
تليفون: ٢٤٤٥٥

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
ستة عشرة أعداد

مايو سنة ١٩٥٤

رمضان سنة ١٣٧٣

## أَمَلٌ...



المسلمون في حاجة إلى « أمل » !

هذه حقيقة يجب أن تضمها الحركة الإسلامية في رأس منهاجها ، وأن تعطى لها ما تحتاجه من جهد ورعاية ؛ فإن الظلمات التي تكثف حياة المسلمين قاسية ألوية ، والمصائب النازلة بهم شديدة الوطأة ، وطريق الخلاص أمام عانتهم لا يكاد يُبين !

هذه الحاجة إلى « أمل » أحسست بها إحساساً ملأ نفسي وأنا أرى دموع الحيارى المذنبين في المسجد الأقصى ، ودموع المستضعفين في مسجد بيروت ، ومثل هؤلاء وأولئك إخوانهم في كل أقطار الإسلام ، من الدار البيضاء المحتلة إلى جزر أندونيسيا المتعبة ... إنهم جميعاً في محنة ، ومحنة الواحد منهم تمتصه في خاصة شأنه كما تمتص أمته في كل شئونها ، وهو بين همّ عيشه وهموم أمته في زلزال شديد ...

والأم لا يحبسها منطق العقل وحده ، ولا ينهض بها التذكير الجامد بالواجب الثقيل ... وحتى هذان لم يجدوا رعاة « أمناء » يؤدون حقهما في كل قطر من هذه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
ستها عشرة أعداد

## الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة  
٦٠ عن نصف سنة  
لطلاب وجنود الجيش  
٨٠ عن سنة كاملة  
٤٠ عن نصف سنة  
٢٥ من ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

صاحب الامتياز

ورئيس التحرير

معبّر رمضان

الإدارة :

٣٢ شارع المنيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

مايو سنة ١٩٥٤

رمضان سنة ١٣٧٣

## أَمَلٌ...

المسلمون في حاجة إلى « أمل » !

هذه حقيقة يجب أن تضمها الحركة الإسلامية في رأس منهاجها ، وأن تعطيها ما تحتاجه من جهد ورعاية ؛ فإن الظلمات التي تكثف حياة المسلمين قاسية أليمة ، والمصائب النازلة بهم شديدة الوطأة ، وطريق الخلاص أمام عانتهم لا يكاد يُبين !

هذه الحاجة إلى « أمل » أحسست بها إحساساً ملأ نفسي وأنا أرى دموع الحيارى المذنبين في المسجد الأقصى ، ودموع المستضعفين في مسجد بيروت ، ومثل هؤلاء وأولئك إخوانهم في كل أقطار الإسلام ، من الدار البيضاء المحتلة إلى جزر أندونيسيا المتعبة ... إنهم جميعاً في محنة ، ومحنة الواحد منهم تعترضه في خاصة شأنه كما تعترض أمتة في كل شئونها ، وهو بين همٍّ عيشه وهموم أمتة في زلزال شديد ...

والأمم لا يحيطها منطق العقل وحده ، ولا ينهض بها التذكير الجامد بالواجب الثقيل ... وحتى هذان لم يجدا رعاة « أمناء » يؤدون حقهما في كل قطر من هذه

الأقطار ، وأصبح من الظلم البين أن نحكم على شعوبها حكماً سهلاً بالتفريط ، أو أن نياس منها بأساً نقرنه حيناً باللمنة على ممانى الضعف والعبث فيها ، وحيناً آخر بالاستهتار بكل بارقة أمل تحملها انتفاضه مفاجئه أو حركة نامية !!

لا . . .

وأقول « لا » وتاريخ الأمم والشعوب كلها مائل بين عيني ، وليس منها جميعها أمة أو شعب عاش عمره جاداً من غير عبث ، بل ليس منها من خلا تاريخه من فترة تردى فيها إلى درك لم ندركه نحن المسلمين بالرغم من كل ما فينا ، ثم إنه ليس منها من أنهضه من كبوته فكرة فيلسوف ، أو منطق حكم الكبير والصغير ؛ إنما هي العاطفة المشبوبة تبعثها دائماً قلة واعية ، فتطلق بها المواهب المكبلة ، وتحجب بها الواجب الثقيل ، وتهون بها العقبة الصعبة ، وتندفع بها في غير منطق أحياناً !!

وليس من حركة غيرت وجه التاريخ إلا ووراءها مغامرة أشعلتها عاطفة لم يقدرها « العقلاء » قدرها إلا بعد أن رأوا ثمرتها ، وكفاهم الواقع — أو كفاهها — شر المدّ والحساب !!

أجل . . .

والقرآن الذي أنزله الله دعوة حارة تفتحهم الأسوار الكاذبة إلى قرارة النفس ، وتُشعل في هذه الأعماق جذوة الحياة ، وتوقد في هذه الأعماق سراج الطريق ، وتقرر في هذا النور وحده حقائق الحياة وتكاليف الطريق : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس » ؟ ، ونبيناً صلى الله عليه وسلم — وهو سيد العقلاء — لبث في مكة ثلاثة عشر عاماً يخاطب هذه النفس . والكثرة الكثيرة من القرآن المبكى آيات ترزع العقيدة ، والذين بادروا إلى الإيمان بها حول النبي لم يكونوا أعقل الناس في عرف أهل مكة يومئذ ، بل إن أعداءهم قالوا : « أنؤمن كما آمن السفهاء » ؟ ، بل لقد بلغوا أن قالوا : « يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون » ! . وإن الحجاب الذي حجب حقائق الإسلام عن كفرة به كان — ولا يزال دائماً في معركة الحق والباطل — حجاباً أسدلته النفس المظلمة على العقل المبصر : « فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ، ولعمري لو أنه لم يقل « التي في الصدور »

لوجدنا من أدياء التفسير الرشيد من يزعم أنه إنما عني بها العقول على مذهب في اللغة ! هؤلاء الذين دعاهم كفار مكة بالسفهاء ، هم الذين أصبحوا بعد أعوام قلائل عقل الجزيرة العربية الجديد في التمييز بين الحق والباطل<sup>(١)</sup> ، وهم الذين صنعهم عاطفة الإيمان صناعة جديدة ركزت في حياة الناس العملية ما يسمونه « بالضمير » وبسميه القرآن تقوى الله ورعاية حدوده ، وهم هم الذين قوضوا سلطان الجاهلية بكفاح مذهل ، رسم له العقل المؤمن خطته ، وصنعت له الماطفة المؤمنة عجائب الفتح الذي دوّخ الروم والفرس ، ونماذج التضحية التي تقشعر لها أبدان العقلاء ... والتي رأينا منها الرجل تضرب يمينه بالسيف فتبقى معلقة بجلدتها فيطأطأ ليدوسها بقدمه ثم يتمطى كي يتخلص منها ويفرغ للقتال بيسراه ... ورأينا منها المرأة تصرع في المعركة ابنها وزوجها وأخوها فتنسأهم جميعا لتسأل : كيف فعل رسول الله !

\*\*\*

وربما ظن أننا أبعدنا عن معنى الأمل حين تحدثنا عن النفس والماطفة والعقيدة ، والحق أننا لم نبعد قيد شعرة ، وإنما أتينا البيت من بابه ، ونشدنا الأمل من منبعه الأصيل ... ذلك أن الأمل الذي نعنيه ليس هو النزوة الطائفة التي تربتها الحماسة ، ولكنه الشموخ النابض الذي تبعثه العقيدة ، وشتان بين هذا وذاك . إن معركة الحياة عند المؤمن هي المعركة بين الحق والباطل ، وهي معركة على عين الله حين يتميز طرفاها ، وليس بينه وبين النصر فيها إلا أن يوثق صلته بالحق ويصدق في ذلك ؛ فإن هو فعل فقد وقف إلى جنب الله في المعركة ، وشكّه في النصر حينئذ هو شك في الله لا ريب ، وذلك معنى قوله سبحانه « إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ؛ وفي صلة المؤمن بالله وعد قائم دائم بالمغفرة كلما أذنب ، وبالرحمة كلما أناب ، مهما كان ذنبه وتفريطه ! وجماهير المسلمين في العالم كله لا تزال تنطوى على جذوة الإيمان بالرغم من كل ما تمنّاه ، ولا تزال تبكي كلما ذكرها بالله داع أمين ، فإن نحن طرقتنا قلوبها ، ونفخنا في هذه الجذوة فيها ، وذكرناها بدينها الحق الذي لا يزال كما هو ، ودعوناها إلى طريق باب رحمة الله التي لا تزال كما هي ، وناشدناها أن تنيب إلى الله إنابة جديدة ،

(١) هذه الجملة من وحي كلمات للرافعي رحمه الله في « وحي القلم » .

وسقنا إليها وعد الله إن هي فعلت بالنصر والتأييد : مهما كانت قوى أعدائها لأن الله أقوى ، ومهما كان تغريطها فيما سلف لأن الله غفور ، وتلونا عليها في ذلك مثل قول الله : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » ... فإننا بذلك نبعث أملاً جياشاً عميق الجذور ، ونطلق موجة عاتبة تحشأها قوى الكفر كل خشية ، ونحيط الحركة الإسلامية بسوار عزيز من طوايا هذه الأمة المظلومة ، ونجعل لها مدداً متصلاً من خيارها وأبرارها ؛ وليس من حق « الدعاة » أن يقولوا : « لن يؤمن إلا من قد آمن » ...

ويكذب على هذه الأمة من يزعم أنها تتخلف عن مثل هذه الدعوة ، أقول ذلك وفي أعصابي دموع شهديتها ، ووميض أعين رأيتها ، وزفرات حارة سمعتها ، ومعالم ثروة مبصرة تنقلت في أنحائها !

إن بعث هذا الأمل بسلطان العقيدة ، إلى جانب كونه أمراً قريباً إذا حاولناه ، وحقاً صريحاً لا تتكلفه ، فهو وحده السبيل الذي نحرر به المسلمين من أكثر أغلالهم ؛ فإن الخرافة التي دُست باسم العقيدة لا يطاردها إلا العقيدة نفسها ، والجحول والغفلة اللذين شاعا باسم التوكل لا يبدها إلا نصحيح معنى التوكل في النفوس ، وشعور الـ ( لا مبالاة ) الذي قطع الأكتفين عن قضاياهم لا يعالجه إلا التذكير برقابة الله وبالمسئولية الشديدة بين يديه ، وبالعقاب الذي كتبه على المفرطين : خزي في الدنيا وعذاباً في الآخرة !

\*\*\*

ولا أحب أن يفوتني هنا معنى ربما ذهب في غمرة السياق ، وهو أنه ما من أمة نهضت إلا ووراء نهضتها عاطفة مشبوبة تبعثها دائماً قلة واعية ... هذه القلة الواعية هي ركيزة الأمل ، وهي الدليل والحامد ، وهي المفتاح للقفل الصعب ، وبقدر ثباتها على معاني دعوتها ، وبقدر إشرافها وفطنتها ، وبقدر قوتها وصلابتها ، يمكن للثروة المبعثرة أن تجتمع ، وللعنلق المصفد أن يستوى على قدميه ، وللقفل الصعب أن ينفتح ! ومعنى ذلك أن تركيز هذه القلة وتربيتها ، واستعمال كل الوسائل في تهيتها ،



يجب أن يظل الهدف الأمثل ، ويجب أن يكون الأساس في بناء الند المرتقت ؛  
وما لم تنجح هذه القلة في أن تكون مثلاً صادقاً لما تدعو إليه ، وأمثلاً مرموقاً  
للحيارى في كل وطن ، ثم في أن تقيم لنفسها حصناً آمناً تأوى إليه ، وشاطئاً موطئاً  
تنشر شراعتها من عنده ، فإن هذه الآمال ستظل أمانى لا تجدى ؛ وليس  
الإيمان بالتمنى !!

ونتم شيء آخر يجب أن أضيفه هنا وهو أن كل خطوة قبل تهيئة هذه القلة  
المؤمنة لن تكون إلا مظهرة لا تلبث أن تنعكس ، ولن تخلف وراءها إلا فجعة  
في آمال عزيزة ، وعقبه كأداء في سبيل كل أمل جديد !!

\*\*\*

وبعد ، فقد بقي أن أذكر مثلاً حضرني أثناء الكتابة ، وهو مثل كان يردده  
باعت هذا الجليل الجديد ، الإمام الشهيد حسن البنا ، رضوان الله عليه . . . كان  
يقول : أرايتم إلى قاطرة السكة الحديدية . . . حين يراد تحويلها من قضيب إلى  
قضيب ، أرايتم عامل التحويل يحاول أن يرفعها من أحدها إلى الآخر ؟ . . . لا . . .  
ولكنه يحرك لسان القضيب بعصا حديدية في يده ، أو بآلة موصولة بلسان القضيب . . .  
كذلك الأمم لا تحمل حملاً من طريق إلى طريق . إن عصا التحويل هي الإيمان ، وإن  
لسان القضيب هو قلوب الناس . . . ولن تلبث حركة اللسان أن توجه القضيب ،  
وأن تحول الأمة من حال إلى حال . لذلك فشل الزعماء الذين حاولوا الإصلاح بمعالجة  
ظواهر الأمور ؛ بينما نجح الأنبياء في تحويل حياة أممهم تحليلاً حقيقياً حول  
النفوس والرؤوس ؛ والأوضاع دائماً لهذهين تبع !

شيء واحد أحب أن أضيفه هنا . . . وهو أن يكون سائق القاطرة أميناً  
بصيراً بالطريق ، وأن يكون معه زاده الحاضر المذخور من الوقود .

سعيد

## تصحیح الجہاد

لسماحة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي  
رئيس جمعية العلماء بالجزائر

لم تُبتذل كلمة عربية مثل ما ابتذلت كلمة « الجهاد » على ألسنة هذا الجيل في الشرق الإسلامي ، فلعلها أصبحت أكثر الكلمات دورانا على الألسنة ، وسيرورة في الأفواه ، ووصفا بها لكل غاد ورائح ، ومع هذا الدوران الكثير لا توجد كلمة أفرغ من معناها منها .

والكلمات الفارغة من الماني كالأجساد الفارغة من الأرواح : تلك كلمات ميتة وهذه أجساد ميتة ، وما كانت الأجساد نافعة إلا بالأرواح ، ولا تكون الكلمات صادقة إلا بتحقيق مانيها في الخارج . والأرواح في الأجساد ، والماني للألفاظ هما معنى الحياة وما تستتبعه من آثار .

تساهلنا في هذه الكلمة ومشتقاتها حتى أصبحنا نطلقها على كل عمل سخي ، ونصف بها كل عامل ضعيف ، واستطابها العجزة القاعدون منا فأصبحوا يطربون لوصفهم بها ، ويبدلون الكرائم لتحليلتهم بوصفها ، وملك التساهل على الألسنة والأقلام أمرها فأصبحت تضع هذه الكلمة وغيرها في غير موضعها ، وتجدد بها على غير مستحقها .

أندرون لماذا يغضب الناس من وصفهم بالمكروهات ولو كانت موجودة فيهم ، ولا يعضبون لوصفهم بالمحجوبات إذا كانت مفقودة منهم ؛ فالبخيل المسك يأنف أن يوصف بالبخل ويطرب إذا وصفته بالكرم ، والجبان الرعديد يعضب أن يوصف بالجن ، ويرتاح إذا وصفته بالشجاعة .

علة الملل في ذلك هي ضعف التربية الأخلاقية فينا معشر الشرقيين ، وبُعد المسافة

بين القول والعمل عندنا ، واختلال الموازين العقلية في تقديرنا ، ونسياننا للواقع حين نتناول الأشياء بالوزن والمقارنة . إن هذه النقائص تبتدىء في الفرد فلا يظهر أثرها ، ثم تنتقل إلى المجموعات فتبرز آثارها السيئة ؛ فتكون بلاء وشرا وخضوعا واستسلاما .

ولقد مرت من تاريخ الإسلام حقبة صالحة كان السلطان فيها للفضيلة ، فصحت الموازين ، وعرفت القيم ، فكان الواحد من أولئك القوم يرى من أبلغ السبب أن تمدحه بما ليس فيه ، ثم هجمت علينا الرذائل بقودها النور والآنانية والمبالغة فأفسدت علينا تربيتنا النفسية ، وجرشء إلى أشياء حتى انتهينا إلى هذا الانحطاط الخلقي الذي نرى آثاره ، وتتجرع مرارته .

الجهاد - أيها المسلمون - لفظ قليل، تحته معنى جليل ، هو صرف القوى الروحية والعقلية والفكرية ، تظاهرها القوى المادية ، إلى تحقيق غرض مما ينفع الناس . ويتفاوت شرف الجهاد بتفاوت ذلك الغرض في النفع ؛ فإذا لم يكن للجهاد غاية ولم يكن فيه نفع كان جهدا ضائعا وسعيا عقيما ، أما إذا كان وصفا تطلقه الألسنة كما هو واقع في زماننا هذا فهو نفاق يصطنعه الطامعون ، وتزوير يتعمل به الفارغون ، وشوق يقول : إذا كثر الشعراء قلَّ الشمر ، ونقول على وزنه : إذا كثر المجاهدون قلَّ الجهاد .

تكررت في النصوص القرآنية كلمة ( الجهاد بالنفس ) في معرض الأوامر التكليفية . والأوامر الدينية بمعانيها الكاملة إنما تتوجه إلى أصحاب النفوس الكاملة التي اطمأنت للإيمان بالله ، والإيقان بالحق الذي يدعو إليه ، والرضا بأحكامه الدينية والقدرية ، وجمل الحياة المحدودة مطية للحياة الخالدة . وما وصل أصحاب هذه النفوس إلى هذه الدرجة من السكال إلا بعد جهاد في النفس ، هيأها للجهاد بالنفس ثم دفعها إليه .

فأعلى مراتب الجهاد وأصله الذي تتفرع منه فروعه هو الجهاد في النفس حتى تستقيم على صراط الحق والفضيلة ، وتستمد لها بعد ذلك من أنواع الجهاد الخارج عن النفس .

والنفس البشرية كسائر الكائنات الحية يجب أن تتعاهد بالتربية الصالحة ،



وتراض على الفضائل والكمالات وإن شقت ، حتى ترجح قابليتها للخير على قابلية الشر ، وكل هذا يقتدر إلى جهود ، فهو جهاد فيه كل خصائص الجهاد بمعناه الخاص الضيق ، ويزيد عليه بأنه أصله وأساسه ، وقد وردت الآثار بتسميته (الجهاد الأكبر). والمعلم والربي لا يفنيان في هذا الباب ما يفنى صاحب النفس ، فهو أقدر على كبح جماحها ، ومراقبة دخالها ، وضبط أنفاسها ، وتنظيم خوارطرها ، وقمع زعاتها الباطلة وحفظها السافلة وزواياها الشهوانية ، وإفاضة النور المبدد للاظلام في جوانبها .

أيها المسلمون : إننا لا نصدق الجهاد في عدونا الخارجي إلا إذا صدقنا — قبل ذلك وتوطئة لذلك — الجهاد في نفوسنا التي بين جنوبنا ، جهاداً يصفي أكارها ، ويطهرها من المطامع الدنية والأغراض السخيفة ، والشهوات الحيوانية ، حتى إذا لقينا العدو الخارجي لقيناه بنفوس مطمئنة ، وبصار مستنيرة ، وعزائم مصممة ، وقلوب متحدة على غاية واحدة ، يسوقها سائق نفساني واحد قبل سائق العلم والنظام ، وتدفعها قوة نفسية واحدة قبل دافع المادة والآلة . إن النظام والآلة والعلم كلها مكملات تأتي بعد إعداد النفوس .

وإننا لا نتصر على العدو الخارجي حتى نتصر على العدو الداخلي وهو نفوسنا ، فلنبداً بها ؛ فمن سنة القتال « قاتلوا الذين يلونكم » .

الطمع وحب الجاه والغرور والحسد والأنانية والبغضاء والحقد والبخل .. كلها نقائص في نفوسنا يجب أن نطهرها منها ، وكلها مداخل لعدونا بأتينا منها ، فيجب أن نسدها عليه ، وَلَهِىَ — والله — أضر علينا من ثغورنا المفتوحة في وجه العدو . إن أعداءنا الذين ملكوا رقابنا واحتلوا أوطاننا وسامونا الذلة والهوان واستعبدونا شر استعباد ، إنما استعملوا بأخلاقهم القوية على أخلاقنا الضعيفة ، ثم استعانوا بنا علينا ، فتي طلبوا خائناً لوطنه منا وجدوا العشرات ، ومتى التمسوا جاسوساً يكشف لهم عن أسرارنا ويدلهم على عوراتنا وجدوا الثبات ، ومتى التمسوا ناعماً بالفرقة فينا أو ناشراً للخلاف بيننا وجدوا الآلاف ، ومتى أرادوا حاكماً منا على أن يسمع لهم ويطيع ويبيعهم مصالح بلاده وجدوه فوق ما يريدون ؛ وما ذلك إلا لأن نفوسنا أنهكتها الرذائل وتحققت النقايس .

أيها المسلمون : هذا شهر رمضان وهو المدرسة الإلهية التي تعلم الجهاد في النفس ، وهو الميدان الذي تجرى فيه التمرينات القاسية والإعداد الكامل والامتحان الشامل ، فإما نجاح في جهاد النفس يخرج صاحبه بشهادة ( قوة الإرادة ) و ( صدق العزيمة ) ، وإما إخفاق يحمل صاحبه شارة العبودية والهزيمة .

إن قوة الإرادة هي التي ملكت زمام العالم فيما ترون وتسمعون ، وإن قوى الإرادة هو الذي لا يدع المجال لشهوات النفس وملذاتها الزائلة أن تنزل به عن مقامات العزة والسيادة والشرف ، إلى مواطن الذل والعبودية والضعمة .

وإن صوم رمضان جهاد أى جهاد في النفس التي هي مصدر الملكات كلها ، لأنه هَجْرٌ للشهوات المستولية على البطون والفروج والألسنة ، وقع لأُخْرَى الفرائز الحيوانية ، وترويض على الإحسان والبر والرحمة ، واشترائية سلبية بين الأغنياء والفقراء في أخص خصائص الفقر وهو الجوع ، وتجويع جبرى يذوق به الناعم طعم الخشونة ، والواجد طعم المدم ، والمبطان ألم الجوع ، لتعرف من هذا الدرس العملي السنوى ما يقاسيه الجياع الطاوون . ولو أن مواعظ الوعاظ كلها سكبت في أذن النقي المنعم الذي لم يجمع في حياته ، واصفة له الجوع وآلامه وما يلقاه الجائع المحروم من ذلك — لما بلغت من نفسه عشر ما تبليغه جوعته يوم طويل ، لأن كلام الوعاظ مهما يبلغ من التأثير لا يمتد أن يكون تصويراً ينتج التصور ، أما الجوع الحقيقي فإنه تطبيق وتصديق ؛ ومن لم يذوق لم يعرف .

ليس لله حاجة في أن ندع الطعام والشراب في هذا الشهر وإثما له في ذلك حكمة عالية ، وهي أن نجاهد أنفسنا ونروضها على تحمل الكاره ، ونزغها بهجر شهواتها المألوفة وقع نزواتها الطاغية لترقى من كثافة المادة إلى لطافة الروح ، وأن تقوى بذلك إرادتنا في شهر لنستعملها قوية في جميع الشهور .

إن الصوم يقوى الروحانية ويُغذّي الفضائل ويشد المزائم ، ويعزى الفكر بالسداد والإصابة ، ويربى الإرادات على الحزم والتصميم . وإن حياتكم اليوم حرب لا تنقصر فيها إلا الأخلاق التينة ؛ فاجعلوا من رمضان ميداناً زمنياً للتدريب على

المغالبة بالأخلاق تنتصروا على عدوكم ، فتخرجوا هيبة من قلوبكم ، ووسوسته من صدوركم ، وجيوشه من بلادكم .

إن عدوكم يعتمد على متانة الأخلاق قبل اعتماده على الحديد والنار ، فأعدوا له أخلاقاً أمتن تُقلّوا حديده وتطفئوا ناره .

إن عبيد الشهوات لا يتحررون أبداً ، فلا تصدّقوا أن من تغلبه شهواته يستطيع أن يغلب عدواً في موقف .

ابدأوا بتحرير أنفسكم من نفوسكم وشهواتها ورذائلها ؛ فإذا انتصرتم في هذا الميدان فأنتم منتصرون في كل ميدان .



قال قائل لإياس بن معاوية (توفي سنة ١٢٢ هـ) : لم تعجل بالقضاء ؟ .

فقال إياس : كم لكفك من إصبع ؟ .

قال : خمس .

قال : عجبت .

قال : لم يعجل من قال بعدما قتل الشيء علماً و يقيناً .

قال إياس : فذلك جوابي .

# الجهاد

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

أستاذ الفريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

١ - إن الجهاد شريعة محكمة ، وقد قلنا في العدد السابق إن الجهاد له أسلحة ، وعدة وذخيرة ؛ وإن أول أسلحته نفس المجاهد التي تكون بين جنبيه ، وقلبه الذي يبعثه عليه ، ونبته التي يحتسبها عند ربه ، قلنا ذلك وأفضنا فيه ، وذكرنا أن أول عناصر القوة قائم في النفس وكفاح أهواء النفس ، فإن ذلك هو الجهاد الأكبر ، وهو عدة للجهاد الأصغر ، وذخيرة من ذخائره ، وسلاح من أسلحته .

وإنه من أسلحة النفس التي يدرع بها المؤمن عند اتجائه إلى الجهاد أن يؤمن بأنه يجاهد في سبيل الحق لإعلانه ، وأنه لا يبغي به علواً في الأرض ولا فساداً ، ولا يريد سيطرة باطلة أو غلاباً ؛ ولا يريد به إذلال النفوس ، وإرهاق الأجساد ؛ ولذلك ما أساغ الإسلام القتال لشهوة النفوس ، ولا للسلطان في الأرض ، بل إن القتال لم يكن عقاباً على الشرك والكفر ، والجحد بآيات الله ، وقد استيقنتها أنفسهم ، لم يكن القتال لذلك ، لأنه لا يعتبر الكفر مبرراً للقتال باعثاً عليه ؛ لأن الهداية بيد الله تعالى يهدي من يشاء ؛ وهي رحمته يختص بها من يشاء ؛ ولقد عتب رب العالمين على رسوله الأمين عندما وجده جفياً بإيمان الذين خالفوه ، فقد قال سبحانه : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » ولأن القتال لأجل الكفر عقوبة دينية على الكفر ، ولا تخلو من إكراه ، والله تعالى يقول : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

٢ - لم يكن القتال لهذه البواعث النفسية ، ولكن كان القتال في الإسلام لثلاثة بواعث ، وهي : دفع الاعتداء ، ومنع الفتنة في دين الله ، ثم فتح السبيل

أمام الدعوة المحمدية ، فلا يكون الطغاة والجبابرة الذين كانوا يحكمون العالم في ذلك الزمان محاجزين دون الدعوة يردونها ، ولا يمكنونها من سيرها إلى أقصى غاياتها ؛ ثم بعد ذلك كان الباعث على القتال دفع المظالم المرهقة التي كانت تفرضها قوة الطغاة على المحكومين ؛ فتذيقهم عذاب الهون ، كما كان الشأن في فارس وفي مصر ، وغيرهما من البلدان التي كان الجهاد العربي الإسلامي لها رحمة بأهل البلاد ، ويردا وسلاما عليهم ، حتى لقد قال ككتاب أوروبا : « إن العالم لم يعرف فاتحا أرحم من العرب » وإنه من التسامح في التعبير أن يقول قائل : إن العرب المسلمين كانوا فاتحين ؛ إنهم بالأحرى كانوا منقذين ناشرين للواء الأمن والسلام ، بعد أن فرضت القوة الدليلية الفاشية الرق على المستضعفين من الشعوب الذين لاحول لهم ولاطول ، ولامغيث ، ولا منجاة إلا إذا كانت من رب العالمين .

٣ - فما كان الجهاد عند المسلمين الأولين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة الأكرمين لفرض مادي ؛ بل كان الجهاد لتلك البواعث الشريفة وتلك النيات الإنسانية العالية ؛ ولذلك كانوا متسلحين بقوة النفس ، وبقوة الباعث السامي الكريم ، كما كانوا مسلحين بتأييد الله العظيم الخبير « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

وإذا كانت تلك البواعث العالية قوة من القوى التي انتصروا بها ؛ فمن الحق علينا أن نتكلم كلمة مجملة في كل باعث من هذه البواعث ؛ وآثاره في حدّ القتال وبيان رسومه وأشكاله .

٤ - أما الباعث الأول ، وهو دفع الاعتداء ، وهو الدور الأول للجهاد في سبيل الله ؛ فإن الاعتداء قد وقع على النبي صلى الله عليه وعلى أصحابه منذ أن دعا إلى ربه ؛ فقد اضطر في أول أمره لإخفاء الدعوة ؛ لأن المشركين ممنوعه من أن يعلنها ، وأخذ أهل كل بيت من المشركين يسومون من يسلم منه أشد العذاب ، حتى إن عمر وهو في الشرك لم يدخل الإيمان قلبه يضرب أخته حتى يدميها لأنها دخلت في الإسلام ، ولم يكف يده عنها إلا رؤيته الدم يسيل منها ، فرق قلبه رقة فتح الله بها مغاليت نفسه ، فكان الإيمان ، وكان ينبوع الصافي والنور المشرق ، والقوة الجاهرة في دين الله ، والعبرى الذي لم يُفَرِّقْ في الإسلام أحد .



حتى إذا كثرت العدد كثرة نسبة ؛ وكان في المسلمين البطلان عمر وحزرة أسد الله ، خرج المسلمون من بيت الأرقم بن أبي الأرقم صفين ، على أحدهما الفاروق ، وعلى الآخر أسد الله ، عندئذ صار الأذى يصدر عن الجماعة كلها ، لاعتدائهم ، وصار مجرد الإسلام ذريعة للنكال ، ومسوغا للإبلام ، حتى إن بعض المسلمين ليكوى ورك ظهره بالنار ، وإن آل ياسر ليرهقون في إيمانهم عسرا ، ولا يترك أعداء الله سبيلا للأذى إلا سلوكه فيهم ، وإن النبي لم يبرهم فيقول ، وهو يصابر نفسه : « صبرا آل ياسر ، صبرا آل ياسر » فعم الأذى كل المسلمين ، ولم ينج منه إلا ذوو البطش القوي مثل عمر بن الخطاب ، وحزرة بن عبد المطلب ، وخص الأذى الضعفاء من أهل الحق ، فكانت الفتنة الملهقة التي حاولوا بها فتن المسلمين في دينهم ، وأكروهوا من أكرهوا على النطق بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان .

ثم استرسل أولئك المشركون في الأذى حتى هموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما ذكره سبحانه بقوله تعالى : « وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ، أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ » .

ولما اضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة إلى المدينة ، هو ومن معه ، لم ينقطع الاعتداء ؛ بل استمر ، وأخذوا يؤلبون البلاد العربية عليه ، وحاولوا أن يجمعوا الشرك كله ليستأصلوا الإسلام من تلك البلاد التي أشرقت فيها نوره ؛ وأضاء فيها مصباحه المنير .

٥ - هذه إشارة إلى الأذى الذي حل بالمسلمين ، والفتنة التي صهرت إيمانهم ، والاعتداء المنكر الذي حل بهم ؛ فهل يسكت أهل الحق ، وقد استشرى الكفر واعتدى ؟ إن الإسلام ليس دين الاستسلام ، وإن كان دين السلام ، فإن الاستسلام والإسلام نقيضان لا يجتمعان ؛ وليس السلام الذي يدعوا إليه هو السلام الذليل الخانع ، بل هو السلام العزيز القوي القاهر لكل اعتداء ، هو السلام الذي يخضع شوكة الباطل ويخضعه ، أو يكف أذاه ، وهو السلام الذي يكف حرية الاعتقاد ، وحرية الفكر ، والرأى ، وحرية التعبير ، وحرية الشعوب ، ويمنع الظلم ويبحثه من جذوره ، ويفرض المساواة العادلة لكل بني الإنسان ، ويهيئ الفرص لحياة سميدة لكل إنسان ، لا يفرق بين جنس وجنس ، وقوم وقوم ، ولون ولون .

٦ - وإذا كان ذلك سلام الإسلام ، فلا بد أن يرد الاعتداء ، لأنّ يسامح المعتدى ؛ ولذا أمر الله سبحانه المسلمين بقتال المشركين ورد اعتدائهم ، من غير أن يقع المسلمون في اعتداء جديد ، ولذا قال تعالى :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوا من حيث تفتنهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام ، حتى يقاتلوك فيه ، فإن قاتلوك فاقتلوا كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ، الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

هذه آيات من آيات القرآن الكريم في القتال ، وإنه ليؤخذ منها القانون العادل للقتال ، بل إنه أمثل قانون للقتال لأنه الإنسانية ؛ إنها تحدّ الابتداء والانتهاء ، وتحدد الداعي والغاية ، فسبب القتال هو الاعتداء والفتنة في الدين ، ابتداءً بوجودها ، وينتهي بانتهائهما ، هما اللذان سوغا القتال ، وهما اللذان يُنهيانه « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

٧ - وإذا كانت الآيات الكريمة هي التي حدّت القتال بابتدائه وانتهائه ، فهي التي بيّنت قانونه كما نوهنا . وهذا القانون يتجه إلى تقرير ثلاثة أمور : أولها المعاملة بالمثل ؛ فإن انتهك العدو حرمة من الحرمات واتخذ من عمله ذريعة للسكيد والأذى لا يصح أن يستسلم المسلمون ، ويتركوه يضرب وهم ساكتون بحكم احترامهم لهذه الحرمات ، وإلا كان ذلك تمكيناً للشر ، وكانت الحرمات مقيدة للمسلمين دون غيرهم ، ومؤيدة دولة الباطل ؛ فإن قاتل المشركون في المسجد الحرام يقاتل المسلمون ، ولكن لا يبدأ المسلمون ، ولذا قال سبحانه : « ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلوك » فلا تبادروهم بأنتم بانتهاك حرمة بل ادفعوا شرهم إن ابتدءوا هم بهذا النوع من الشر . وإن قاتلوا في الشهر الحرام ، فعلى المسلمين أن يقاتلواهم ، والأشهر الحرم هي : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرّم .

ولقد قرر الله سبحانه تلك القاعدة الجلية في الحروب بمجملتين ساميتين محكمتين ،  
وهما قوله تعالى « والحرمات قصاص » وقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه  
بمثل ما اعتدى عليكم » فهاتان الجملتان تقرران قانون المعاملة بالمثل في أحكم تعبير ،  
وإن الأولى منهما تقرر أن الحرمات في احترامها تكون بالمساواة ، فإن احترموا حرمة  
من الحرمات احترمها المسلمون ، بل إن احترامهم لها يكون أشد ، وإن انتهكوها في  
جانب المسلمين انتهكها المسلمون في جانبهم ، وإن استرقوا المسلمين استرقهم المسلمون  
وهكذا ؛ يحاربون بالسلاح الذي يختاره المعتدون وبالمعاملة التي يسنونها .

٨ - هذا هو الأمر الذي يبدو أن الآية الكريمة تقرر في القتال ، أما الأمر  
الثاني فهو أن القتال إذا فتح بابه لا يتقيد بمكان ولا بزمان ولا بحال إلا ما يكون  
حرمة من الحرمات ؛ فإنه يقيد أهل الإيمان بها حتى ينتهكها المعتدون ؛ ولذا سوغ  
سبحانه وتعالى كل طرق القلب ، من غير أن يخرج المسلمون عن نطاق الحق العادل  
إلى الاعتداء ، فإنهم يكونون إن خرجوا قد حادوا عن الجادة ، وتجاوزوا الحد ؛ فإنه  
إذا انفتح باب القتال لم تعد له حدود مقيدة إلا ما يكون خروجاً عن التدبير المحكم ،  
والخطط القوية ، وأساليب القلب ، ولذا قال تعالى بعد فتح باب القتال : « اقتلوا  
المشركين حيث وجدتموهم ، وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » .

٩ - والأمر الثالث الذي تقرر في الآية في القتال هو التقوى في القتال ، وإن  
التقوى في القتال هي التي تقيد قانون المعاملة بالمثل ؛ لأن المشركين قد يقتلون النساء  
والذرية وقد يمثلون بالقتلى ، فهل يسوغ للمسلم أن يصنع صنيعهم ، إنهم أهل جاهلية ،  
وعصية حاكمة ، فهل ينهج المسلمون منهاجهم ، ويفكون شكائم الأخلاق ، ويحلون  
مواثيق الفضيلة ؟ هنا يجيء الأمر بالتقوى ناهياً عن ذلك الطريق ، ولذا ختم الله  
سبحانه وتعالى آيات القتال التي تلونها بقوله تعالى « واتقوا الله واعلموا أن الله  
مع المتقين » .

إن القتال في الإسلام صورة مثالية للتنازع الآدى الذي تمتشق فيه السيوف ،  
والذي يستمسك فيه أهل الحق بالفضيلة في قتالهم ؛ لأنه تنازع الخير مع الشر ، وتنازع  
الفضيلة مع الرذيلة ، وتنازع الحق مع الباطل ؛ ولا يصح للخير في هذا النزاع أن يتخلى  
عن خواصه ، وإلا كانت الحرب باطلاً في باطل .

١٠ - وإن وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في قتاله ، ووصايا الصحابة تتجه إلى الاستمساك بالفضيلة الإسلامية في القتال ؛ وجعل قانون الأخلاق الفاضلة مسيطراً في أثنائه ؛ لأن الخواص الإسلامية العالية يجب أن تظهر في كل أعمال المسلمين ، ولو كان ذلك في مشتجر السيوف ، ولذلك ورد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة فقال : « إياكم والمثلة ولو بالكلب » مع أن المشركين كانوا يمثلون بقتلى المسلمين ومثلوا بأحب أقارب النبي صلى الله عليه وسلم والأدنين ، وهو عمه حمزة ابن عبد المطلب . ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعاملهم بالفضيلة ، ويعاملونه بالذيلة ، فما كان عليه السلام لينساق وراءهم في استباحة ما يستبيحون ، مادام ذلك لا ينصرهم في قتال ، ولا يرجعهم في نزال ، وإنما هي أضغان القلوب تظهر في الأعمال .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي جيوشه ألا يقتلوا شيخاً قانياً لا رأى له في القتال ، ولا امرأة ، ولا الذرية ، وهذا قوله عليه السلام في إحدى وصاياه : « انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً قانياً ولا طفلاً ، ولا امرأة ، ولا تمنلوا ، وضمو غنائمكم وأصلحوها ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .

ومر عليه السلام بامرأة مقتولة ، فقال غاضباً : « ما كانت هذه لتقاتل » .

١١ - وهكذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقاتل مستمسكاً بالفضيلة ، ويدعو المسلمين إلى ذلك ، حتى لا يكون في سيوفهم رهق ، فيضموها في موضع السقم والبرء ، ولقد كانوا لرحمة نفوسهم ولقوة إيمانها ولفرط احترامها للإنسانية يكرهون القتال ، ولا يتقدمون إليه إلا للضرورة ، ولكنهم إن تقدموا كانوا للبيوت الكواسر التي لا تهاب الموت ، ولذا قال تعالى في شرعية القتال : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

١٢ - وقد يقول قائل : هذا شأن المشركين قد اعتدوا على المسلمين وآذوهم وفتنهم عن دينهم ، ولم يتركوا باباً من أبواب الشر إلا ارتكبوه معهم ، فما بالهم قاتلوا المجوس والنصارى واليهود وغيرهم ، وأولئك لم يكن منهم اعتداء ولا ابتداء بحرب ؟ .

وإن الجواب عن ذلك أن قتال اليهود كان للاعتداء ، ولكنه كان اعتداءً من لون آخر ، كان نكثاً للعهد ، وموالاتاً للعدو ، واشتراكاً مع المشركين في التآليب على المؤمنين ، وقد ارتبطوا بيهود مع المسلمين أن يكون أمنهم أمن المسلمين ، وسلامهم سلامهم ، فنكثوا في العهد ، ونكثوا في الذمة .

وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة ، وقد جاور اليهود وخالطوه عاملهم بالتي هي أحسن ، وعاهدهم معاهدات ملزمة لطرفيها ، فأوفوا بها والمسلمون في أمن ، حتى إذا اشتدت الشديدة ، وهوجم المسلمون كانوا عليهم عيوناً ، وهموا بالمؤمنين في غزوة أحد ، وما إن انتهت حتى ردَّ المسلمون بتأييد الله كيدهم في نحورهم ، فاقبض الله من بني قريظة الذين خانوا في عهودهم ، وكذلك كان الأمر في غزوة الخندق إذ تجمع الأحزاب ، وتكاثفت جموع الشرك كله ، وأرادوا المدينة ليزيلوا الإسلام وأهله ، فلأنهم بنوا النصير من اليهود ، وصارت المدينة الفاضلة عرضة للغزو من الأمام والخلف ، وبث المنافقون روح الهزيمة والشك في نفوس الضملاء من المؤمنين ، حتى لقد قال تعالى في وصف ذلك : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ونظنون بالله الظنون » وأى اعتداء أبلغ من هذا وأنكى ، وأشد وأدهى ؟ إنه الاعتداء الخبيث اللئيم الخائن .

وأما النصارى فقد كانوا بالبلاد العربية على وداد ومحبة مع المسلمين ، ولكن حدث في الشام أن دخل في الإسلام طوائف من النصارى فاضطهدهم الروم وأمرأؤهم وحاولوا فتنهم عن دينهم ، فكان لابد من رد الاعتداء ، فكانت حرب الروم ؛ وجهز جيش أسامة لغزو الروم لهذا الاعتداء الآثم ، وللمظالم التي ارتكبوها في رعاياهم .

وأما المجوس ، فلأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كسرى يدعو إلى الإسلام فأرسل من يقتله عليه السلام فكانت الفجرة التي ليس وراءها فجرة ، وفوق ذلك فقد كانت مظالمه على قومه بلغت أقصاها .

١٣ — هذا هو الباعث الأول على القتال وقد رأيت الاعتداء على المسلمين لا يزال من كل جانب ، أما المشركون فقد آذوهم أولاً ، ثم هاجموهم في عقر دارهم ثانياً ،



ثم ألبوا العرب عليهم جميعاً ثالثاً ، ثم منعوهم من البيت الحرام يحجون إليه رابعاً . والروم قد حاولوا أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ؛ فقتلوا بعض المسلمين في دولتهم . والمجوس حاول ملكهم أن يقتل الرسول عليه السلام ، فأحاط بالمسلمين أعداء الحق المعتدون إحاطة الدائرة بقطرها ، وهي دائرة من حديد لا يغلها إلا الحديد مثلاً ، فكان لا بد من القتال ، وكان الإذن بالقتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوى عزيز » .

١٤ - ولترجى الكلام في الباعثين الآخرين إلى مقال آخر ، ولكن يجب أن يُعلم أن القتال في الإسلام لم يخلع عن المسلم تقواه وفضيلته ، بل كانت الحرب الفاضلة يتسربل فيها المقاتلون سربال التقوى ، حتى لقد وصفهم عين للروم فقال : « وجدت قوماً رهباناً بالليل ، فرساناً بالنهار ، والله لو سرق ابن ملكهم لقطموه ، أو زنى لرجموه » .

ولما التقى الجمعان في واقعة اليرموك وانهزم الروم ، قال هرقل لجنده : « ويلكم أخبروني عن هؤلاء الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا بلى . قال فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن ، قال فما بالسكم تهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ، وبصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمنون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون فيما بينهم . ومن أجل أننا نشرب الخمر ، وزنى ، وتركب الحرام ، وننقض العهد ، وننصب ، ونظلم ، ونأمر بالسخط ، وننهى عما يرضي الله ، ونفسد في الأرض . فقال هرقل : أنت صدقتني » .

هذا حال المسلمين الأولين أفنحن مثلهم ؟ اللهم هيء لنا من أمرنا رشداً .

من القرآن .. أسس الحياة القوية المجيدة :

## الانحراف عن العقيدة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

( ٣ )

والانحراف عن العقيدة قد يكون له أحيانا - كثيرة بكل أسف ١ - نأجته الخطيرة في عقيدة الفرد وحياته ، وفي حاضر الأمة ومستقبلها . وهذا الانحراف ، في نفسه ، وفي آثاره السيئة ، قد يكون على ضربين إيجابى أو سلبى ، ونرى أن بعض هذا يحتاج إلى بيان .

ذلك ، بأن من الدعائم التى تقوم عليها الأمة من الأمم أن تتكون لأبناء هذه الأمة عقيدة وطنية قومية ، وهذه العقيدة تقوم على الإيمان إيمانا ثابتا لا ريب فيه بعلو جنسهم وحضارتهم وتقاليدهم .

فهم إذا يستمسكون بهذه العقيدة ، ويصدرون عنها فى كل أعمالهم كأفراد أو جماعات أو أمة ، ويحاولون تثبيت هذه العقيدة فى قلوب الناشئة بكل سبيل ، بل إنهم يعملون على أن يؤمن غيرهم من أبناء الأمم الأخرى بما يؤمنون به ، ليكون من اليسير عليهم بعد ذاك ضمهم تحت لوائهم ثقافيا ، وربما سياسيا أيضا .

يقوم الإسلام - على ما نعلم جميعا - على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتقوم الحضارة الإسلامية على دعائتين رئيسيتين : كتاب الله المحكم ، وسنة رسوله الصحيحة . وقد ظهر الإسلام الذى رضى الله لنا ديننا والعرب ، بل العالم كله ، فى أشد الحاجة إليه ؛ فاتأهم العقيدة الحقبة بعد أن كانوا منها فى أمر مريج ، والشريعة الصحيحة بعد طول ما عصفت بهم الأهواء ، والنظم الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تسهم فى بعث العالم ونهضته ووحدته .

ولن يكون المسلم مسلما حقا ، صحيح العقيدة فى دينه إلا إذا آمن بذلك كله ؛ آمن

بأنه على خير دين ، وأنه أوتي خير كتاب إلهي ، وأنه من خير أمة أخرجت للناس ؛ وأن حضارته صلحت بها الإنسانية عامة قرونا طويلة ، ولا تزال صالحة لقيادة العالم إذا وجدت رجالا !

فإن لم يكن المسلم على هذه العقيدة بنواحيها العديدة ، فهو غير كامل الإيمان ، بل هو على عقيدة منحرفة قليلا أو كثيرا ، وبمثله لا يتقدم المسلمون بل يتأخرون . وما أكثر ما نجد من هؤلاء في هذا الزمان ، ومنهم من يزعم مع هذا أنه مؤمن تام الإيمان !

لا ، أيها الناس ! إن العقيدة أمر في القلب حقا ، ولكنها تعرف بما يصدر عن الإنسان من قول وعمل ؛ والقول إذا لم يصدقه العمل يصبح قولاً كاذباً خادعاً لا قيمة ولا حقيقة له . وقدما كان فريق من الناس يقولون بأنهم من المؤمنين ، وكان الله الذي يعلم السر وأخفى يزيل عنهم ستره فإذا بهم يظهرون مفضوحين منافقين وليسوا على شيء من الإيمان .

وكذلك نحن في هذه الأيام ؛ نزعم صحة العقيدة وصدق الإيمان ، ومع هذا نظهر منا أعمال تكذب هذا الذي نزعمه وندعيه ، ومن ثم يكون من هذه الأعمال أن تبرهن على أننا لسنا مؤمنين إلا بالاسم دون العمل ، وهيهات أن تقوم أمة يكون من رجالها أناس من هذا الصنف من المؤمنين !

ولسنا في حاجة إلى ضرب كثير من الأمثال لتوضيح ما نريد أن نقول ، فيكفي من هذه الأمثال العدد القليل ، وهي أمثال ننتزعا من الحياة الواقعية في البلاد الإسلامية ، بل ننتزعا من مصر بخاصة ، وهي أمثال تكشف لنا عن سوء ما نحن عليه إن لم يتداركنا الله بلطفه وعونه .

يقول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ويقول عن كتابه الكريم مخاطبا رسوله المصطفى العظيم : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .

ويقول : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » ، ثم يقول : لبيان ما يجب أن يكون عليه المؤمنون فيما بينهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

أولياء بعض ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويطيعون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم .

أرأيت إلى هذه الآيات الكريمات ! إنها تقرر طائفة من المبادئ والأصول ، وتبين كثيراً مما يجب أن يكون عليه المؤمنون ، ومما يكون لهم من الله جزاء إيمانهم الحق . ولنشر من هذا كله إلى ما يلي :

١ - أنها تزرع الثقة في قلب المسلم بدينه وأمه .

٢ - تؤكد أنه أوتي من لدن الله تعالى كتاباً يخرج الناس من ظلمات الجهل والعبودية إلى نور الإيمان والحرية .

٣ - تقرر أن المؤمن أولى بأخيه المؤمن ، وأنه لن يكون المرء مؤمناً حقاً إلا بإطاعة الله ورسوله في كل ما أمرا به أو نهيا عنه .

وقد آمن المسلمون الأولون ، رضوان الله عليهم ، بكل هذه المبادئ والمبادئ التي يقرها القرآن ويشهد بها الله ، وكفى به شاهداً ، ومن أصدق من الله قبلاً ! فكان منهم حقاً خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ورسوله وكتابه ، كما آمنوا بأن هذا الكتاب الإلهي هو وحده الحري بأن يخرجهم من الظلمات إلى النور .

وقد دفعهم ذلك إلى أن يثقوا بدينهم ثقة مطلقة ، وأن يؤمنوا بجنسهم وأمتهم ، وأن الله جعلهم أمة وسطاً بين تفریط المفرطين وغلو الغالين ليكونوا شهداء على الناس ، وليكونوا ميزان الحق والعدالة بين الناس جميعاً .

وكان من هذا كله أن سادوا العالم بأجمعه ، وفرضوا حضارتهم بكل مقوماتها عليه ؛ فكانوا القادة وكان الناس لهم تبعاً ، وكان هذا الوضع مصداق ما جاء عنهم وعن دينهم في كتاب الله المحكم .

أما حين فقدوا هذه الثقة بدينهم ، والإيمان الحق بكتابتهم وحضارتهم ، ومبلغ ما أوتوا من حظ من العقل والتفكير والمعرفة ، صاروا ناساً كالناس ، بل صاروا دون كثير من الأمم التي يتكون منها العالم اليوم . وكان من نتائج هذا ، أن جعلنا

نولى وجوهنا شطر الغرب ، نلتبس منه الرأى والمون فى صغير الأمور وجليلها ، وأن جعلنا نرى الفخر فى أن نحيا كما يحى الغربيون ، وأن نأخذ عنهم نظمهم وتقاليدهم ، ولا نرى فى شيء من ذلك أى عار !

أليس فينا من يعمل جاهداً على فصل الدين عن الدولة ، مع أن أهم ما يمتاز به الإسلام أنه جاء بمقيدة وشريعة ودين ودولة ! أليس فينا من ينادى بقوة بحقوق يزعمها للمرأة ، ومنها ما يتعارض صراحة مع نصوص القرآن مثل التسوية بين المرأة والرجل فى الميراث ! ألسنا نستقدم الخبراء من أوروبا وأمريكا فى كثير من الأمور الثقافية مثل تربية الدواجن !

ثم ألسنا جريئاً على أن ننظر إلى المعاهد التى لا يزال الدين وعلومه وشريعته يجد فيها ملاذاً ، مثل الأزهر ودار العلوم ، نظرة أدنى بكثير من نظرتنا للمعاهد المدنية الأخرى ! وكان من ذلك أن خربى المعاهد الإسلامية ، من معالين ووعاظ وقضاة شرعيين ، لا يزالون فى منزلة أدبية ومالية أدنى من خربى المعاهد الجامعية كما يزعمون .

وأكثر من هذا وذاك ، ألسنا نرسل لأوروبا بعثات جامعية وأزهريه للتخصص فى الآداب والدراسات والفلسفة الإسلامية ! ثم نعتز بما ينال هؤلاء المتخصصون — كما يزعمون — من درجات علمية من الجامعات الغربية فى هذه الدراسات الإسلامية البحتة ، ومعنى هذا أننا نحكم أولئك الأعاجم فى علومنا الإسلامية ورجال الفكر المسلمين ؛ حتى فى مجال الفقه والحديث وعلوم القرآن !

كل ذلك صحيح لأنه واقع حقاً وملوس فى مصر وغير مصر من بلاد العروبة والإسلام ، وهو دليل أى دليل على فقدنا الثقة بأنفسنا ؛ باعتبارنا خير أمة أخرجت للناس ، وأوتيت خير دين ، وأورثت العالم أعظم حضارة عرفتها الإنسانية وأفاد منها الغرب أيما فائدة .

إننا فيما يتصل بهذا كله ونحوه ، وهو كثير سيجىء لبعضه إن شاء الله تفصيل فى كلمة أو كلمتين تالية وبخاصة فى ناحية القانون ، بين أمرين : إما أن نكون مؤمنين بكتابنا الإلهى وما جاء فيه من أن الإسلام عقيدة وشريعة ودين ودولة ،



أو غير مؤمنين بشيء من ذلك ولكن كتب علينا أننا مسلمون لأننا ولدنا في بيئة إسلامية ومن آباء مسلمين .

فإن كانت الأولى ، فلم لا نعمل وفق ما نؤمن به ، فنقيم حياتنا على أسس قوية من كتاب الله وسنة رسوله ، ونفقد من كل ما أتجه الإسلام من نظم وحضارة ، ثم لا علينا بعد ذلك أن نأخذ عن الغرب ما قد نكون بحاجة إليه ؟ وحينئذ لنا أن نتنظر تحقيق ما وعد الله عباده المؤمنين من نصر وتأييد وعز الدنيا والآخرة .

وإن كانت الأخرى ، كانت الطامة ، وكان علينا أن تبين مدى بعدنا عن الدين والحق ، وانحرافنا عما جاء به من عقائد وتشريعات ونظم لا تصلح الحياة إلا بها ، ولا تقوم أمة إلا عليها ؛ وحينئذ نعمل على أن نطبخ لهذا الداء ونبرأ منه لنكون أحرىاء بعون الله ومساعدته .

لنسمع يا قوم إلى قول الله تعالى في سورة الحديد : « ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

نعم ! إن طول الأمد يقسى القلوب ويضعف حرارة الإيمان ، ولكن الله يحيي الأرض بعد موتها ، فهو قادر على أن يحيي موات القلوب إذا أخذنا في الأسباب . وجماع هذه الأسباب عودة من جديد للدين الحق والعقيدة الصادقة ، وعمل جاد حثيث دائم على أن نحيا حياة إسلامية صحيحة . وعبد ذلك يقع أكثره وأولاً على رجال الأزهر والجامعة ، ثم على أولى الأمر الحاكمين ، ولتعلن نبأ بعد حين ، والله المستعان الهادي إلى سواء السبيل .

# في ظلال السنة

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

## حقيقة التوكل

روى الإمام أحمد والطبرسي في مسنديهما عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« لو أنكم توكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماسا (١) وتروح بطانا (٢) »

\*\*\*

قد أكثر الخائفون في بيان حد التوكل ، واختلفت عباراتهم ، وتكلم كل واحد عن مقام نفسه ، وأخبر عن حده .  
ولا فائدة في النقل والإكثار ؛ فلنكشف الغطاء عنه ونقول :  
التوكل مشتق من الوكالة . يقال وكل أمره إلى فلان : أى فوضه إليه واعتمد عليه فيه ، ويسمى الموكل إليه وكيلاً ، ويسمى المفوض إليه متكللاً عليه ومتوكلاً عليه ، فيما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ، ولم يهتمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزاً وقصوراً .

فالتوكل إذن عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده .

يقول الغزالي في كتاب الإحياء :

« قد يُظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة . وهذا ظن الجهال ، فإن ذلك حرام في الشرع . والشرع قد أثنى على المتوكلين ؛ فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين .

(١) خماساً : أى جياحاً

(٢) بطاناً : أى ممتلئة من الطعام

« إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسميه بعلم إلى مقاصده . وسمى العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب ، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار ، أو لدفع هو ضار لم ينزل به كدفع الصائقل والبارق والسباع ، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض . فمقصود حركات العبد لاتمدو هذه الفنون الأربعة : وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه » .

\*\*\*

فالتباعد عن الأسباب كلها مراعاة للحكمة ، وجهل سنة الله . والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل لا يخرج الإنسان عن مقامات التوكل .

ألا ترى إلى الصديق رضى الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح آخذاً الأتواب تحت حضنه والترافع بيده ، ودخل السوق ينادى حتى كرهه المسلمون ، وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أقتت خلافة النبوة ؟ .

فقال لا تشغلوني عن عيالي ، فإنى أن أضعتهم كنت لما سوامم أضيع ، حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين .

فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى .

ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل ، فن أولى بهذا المقام منه . فدل على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسمي ، بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته ، والعلم بأن الله هو ميسر الإكتساب ومدير الأسباب .

وفي الحديث الذى تقدم إشارة إلى أن الطير قد غدت من أوكارها باحثة عن رزقها ، وهى متوكلة على ربها ، صادقة فى تسخيرها ؛ فترجع وقد امتلأت بطونها بعد أن كانت جياعا ، وتمود حاملة لأطفالها رزقا يسره الله لها بتجركها والاعتماد على ربها .

قال أبو جعفر الحداد ، وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما ، وكان من التوكلين :

أخفيت التوكل عشرين سنة ، وما فارقت السوق ، كنت أكتسب في كل يوم دينارا ، ولا أبيت منه دافعا ، ولا أستريح منه إلى قيراط ، بل أخرجه كله قبل الليل .

فالتوكل الخالص الصحيح هو من لوازم الإيمان ومقتضياته . قال الله تعالى :  
« وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » .

فجعل التوكل شرطا في الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل .  
وإن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه ، وكلما قوى إيمان العبد كان توكله أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل . والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة ، والتوكل والإيمان ، وبين التوكل والتقوى ، وبين التوكل والإسلام ، وبين التوكل والهداية .

فأما التوكل والعبادة فقد جمع بينهما في سبعة مواضع من كتابه : أحدها في سورة هود حكاية عن شعيب « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » وقوله حكاية عن أوليائه وعباده المؤمنين « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « ولله غيب السموات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه » وقوله « قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » .

وأما الجمع بين الإيمان والتوكل ففي مثل قوله تعالى « قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا » ونظيره قوله « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » وقوله تعالى « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

وأما الجمع بين التوكل والإسلام ففي قوله تعالى « وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » .

وأما الجمع بين التقوى والتوكل ففي مثل قوله تعالى « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » وقوله « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

وأما الجمع بين التوكل والهداية ففي مثل قول الرسل لقومهم « وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلنا » .

فما لصاحب الحق أن لا يتوكل على الله ؟ وكيف يخاف وهو على الحق ؟ كما قالت الرسل لقومهم « وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلنا » فمجبوا من تركهم التوكل على الله وقد هداهم ، وأخبروا أن ذلك لا يكون أبداً .

وهذا دليل على أن الهداية والتوكل متلازمان ، فصاحب الحق تعلمه بالحق ولثقت به بأن الله ولي الحق وناصره مضطر إلى توكله على الله لا يجد بداً من توكله .  
فإن التوكل يجمع أصليين : علم القلب ، وعمله .

أما عمله : فيقينه بكفاية وكيله ، وكمال قيامه بما وكله إليه ، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك .

وأما عمله : فسكونه إلى وكيله ، وطمأنينته إليه ، وتفويضه وتسليمه أمره إليه ، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه ؛ فهذين الأصلين يتحقق التوكل وهما جماعه .

والمقصود أن القلب متى كان على الحق كان أعظم لطمأنينته ووثوقه بأن الله وليه وناصره .

وإذا كان على الباطل علماً وعملاً أو أحدهما لم يكن مطمئناً واثقاً بربه ، فإنه لا ضمان له عليه ولا عهد له عنده ؛ فإن الله لا يتولى الباطل ولا ينصره ، ولا يُنسب إليه بوجه ، فهو منقطع النسب إليه بالكلية ، فإنه سبحانه هو الموفق ، وقوله الحق ، ودينه الحق ، ووعدته الحق ، ولقاؤه حق ، وفعله كله حق ، ليس في أفعاله شيء باطل ، بل أفعاله سبحانه بريئة من الباطل . فلما كان الباطل لا يتعلق به : بل هو مقطوع البتة ، كان صاحبه كذلك . ومن لم يكن له تعلق بالله العظيم وكان منقطعاً عن ربه لم يكن الله وليه ولا ناصره ولا وكيله .

فتحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها ، وجرت سنته في خلقه بذلك ؛ فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له ،



والتوكل بالقلب عليه إيمان به . قال الله تعالى : « يأياها الذين آمنوا خذوا حذركم »  
وقال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .

ولقد أنكر الإمام أحمد وغيره على من ترك التكسب ، وعلى من دخل المفازة  
بنير زاد ، ظاناً أن ذلك من التوكل والاعتماد على الله .

روى عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يترودون ويقولون نحن  
متوكلون ، فيحجون فيأتون مكة فيسألون الناس ، فأنزله الله « وترودوا فإن خير  
الزاد التقوى » .

فالرجل الذى يقعد فى بيته زاعماً أنه يثق بالله فيأتيه لذلك رزقه ؛ فهذا ما لم يفعله  
الأنبياء ولا غيرهم . فقد كانت الأنبياء يؤجرون أنفسهم ؛ فقصه موسى مع شعيب  
وابنتيه شاهد على ذلك « قالت إحداها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت  
القوى الأمين » .

وكان النبي صلوات الله عليه يؤجر نفسه ، وأبو بكر وعمر ، ولم يقولوا نقعد حتى  
يرزقنا الله عز وجل .

ألا ترى إلى قوله تعالى فى سورة الفاتحة التى قرؤها فى كل صلاة « إياك نعبد  
وإياك نستعين » .

فقد أمرنا بأن لا نعبد غيره ؛ لأن السلطة الغيبية التى هى من وراء الأسباب  
ليست إلا له دون غيره . وأمرنا أن لا نستعين إلا به ؛ فإن كل عمل يعمل الإنسان  
تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الأسباب التى اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون  
مؤدية إليه .

وقد مكن الله تعالى الإنسان — بما أعطاه من العلم والقوة — من دفع بعض  
الموانع ، وكسب بعض الأسباب ، وحجب عنه البعض الآخر .

فيجب علينا أن نقوم بما فى استطاعتنا من ذلك ، وأن نبذل فى اتقان أعمالنا كل  
ما نستطيع من حول وقوة ، وأن نتعاون ويساعد بعضنا بعضاً على ذلك ؛ ثم نفوض  
الأمر فيما وراء كسبنا إلى القادر على كل شيء ، ونلجأ إليه وحده ، ونطلب المعونة  
المتعمة للعمل ، والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواه .

فالزراع يبذل جهده في الحرث والبذر وتسميد الأرض وربها ، ويستعين بالله تعالى على إتمام ذلك بمنع الآفات والجوائح السماوية والأرضية . والتاجر يحذق في اختيار السلع ، ويمهر في صنائع الإعلان والترويج ، ثم يتكل على الله فيما بعد ذلك .

فلا منافاة بين التوحيد والتوكل ، بل الكمال والأدب في الجمع بينهما . روى الترمذى من حديث أنس قال : قال رجل يا رسول الله أعقلها وأتوكل ، أو أطلقها وأتوكل ؟ قال : « أعقلها وتوكل » .

قال معاوية بن قرة : لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ قالوا نحن المتوكلون ، قال بل أنتم المتواكلون ؛ إنما المتوكل الذي يلقى حبه في الأرض ويتوكل على الله .

فثمرة التوكل الرضا بالقضاء ؛ فمن وكل أموره إلى الله ، ورضى بما يقضيه له ويختاره ، فقد حقق التوكل . .



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة ، ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال » .

« رواه أحمد »

## كازنة فلسطين

الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

( ٥ )

أخذ اليهود الحرب ستاراً لإعداد قوة حربية وتكوين جيش ، وصاروا يجمعون الأسلحة والمؤن ويدخرونها ، ويحولون « مستعمراتهم » إلى معقل . ووجدوا فى الحرب فرصة نادرة للتدريب المسكرى . فبلغ عدد من انضم منهم إلى صفوف الحلفاء خمسة وعشرين ألفاً . وألفوا الجمعيات الإرهابية : فظهرت عصابات « الهاجانا » — أى الدفاع — و « أرجون زفاى لوى » — أى الهيئة الوطنية الحربية ، و « اشترن » نسبة إلى زعيمها وهو طالب شاب . وكان أحد أفراد هذه العصابة الذى اغتال فى عام ١٩٤٥ فى القاهرة لورد « موين » أحد أقطاب المحافظين . ولما كانت إنجلترا ظلت متمسكة بمبدأ تقييد الهجرة ، وكان الصهيونيون يريدون فتح الباب على مصراعيه ليفرقوا فلسطين بوفود المهاجرين ، فقد نشطت تلك العصابات لترغيم الحكومة الإنجليزية — بأعمال القتل والتدمير والمهجبة — على نقض قرارها . وأدت هذه الحالة إلى ازدياد الاضطراب واختلال الأمن . على أن « الوكالة اليهودية » كانت تتظاهر دائماً بالولاء لحكومة الأشرار ، وتتنبئ من جرائم الأبرهانيين ، مع أنها كانت تشجعهم فى الحقيقة سراً ؛ كما أنها كانت تيسر الوسائل للمهاجرين فلم ينقطع ورودهم إلى فلسطين طوال الوقت ، خلصةً وبمختلف الطرق . وقد بلغ عدد اليهود فى نهاية سنة ١٩٤٤ ٥٥٤٠٠٠ من عدد السكان الذى كان إذ ذاك ١٧٦٥٠٠ .

وإذا كانت إنجلترا ، بعد تجارب مرة قاسية دامت نحو ربع قرن ، قد وصلت إلى هذه النتيجة : وهى ضرورة تقييد الهجرة والحد من المطامع الصهيونية الجامحة ، فإن أمريكا — وقد أتت عقب الحرب ١٩٤٥ لتمد الصهيونيين بقوة دافعة من جديد — لم

تكن لها أية تجارب سابقة ، أو حنكة أو دراية . فكان تدخلها مبمناً لا كبر الشروع ، وظلماً فادحاً لا مثيل له ، ومخطماً لأى أمل فى السلام فى فلسطين أو الشرق الأوسط . وإذا كان لهذا التدخل من نتيجة واضحة فإنه قد كشف أمريكا على حقيقتها ، وبين أنها دولة « بروتستانية » متعصبة ، وأنها تعمل للاستعمار واستغلال الشعوب مثل أخواتها الدول الأوروبية . سارع « ترومان » الذى خلف « روزفلت » فى رئاسة الولايات المتحدة إلى الطلب من إنجلترا أن ترخص بهجرة ١٠٠.٠٠٠ يهودى إلى فلسطين ، وأخذ يضغط عليها لتحقيق هذا الطلب . وكانت أمريكا قد خرجت من الحرب صاحبة الكلمة الأولى فى الشؤون الدولية ، وهى الدائنة لإنجلترا النقذة لها . فما كان من إنجلترا — ولا سيما أن للصهيونية نفوذاً كبيراً فى دوائر حزب العمال — إلا أن نقضت سياستها التى كانت أعلنتها فى الكتاب الأبيض ، وقررت فتح باب الهجرة بنسب معينة ، وإن كانت قد ذكرت أن هذا إجراء مؤقت ، إلى أن تصدر اللجنة المشتركة التى اقترحت تكوينها قرارها فى مسائل الهجرة والإقامة وغير ذلك . وجاء تقرير هذه اللجنة التى رأسها « هتشسون » القاضى الأمريكى — ١٩٤٦ — مؤيداً لطلب « ترومان » وداعياً لإنجلترا أن تلتفى قوانين تحديد الهجرة والملكية ، وإن كان لم يوافق على فكرة إقامة دولة لليهود ، ونصح بأن توضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة . ولما كانت إنجلترا لا تستطيع إلا أن تطيع أمريكا ، وهى فى الوقت نفسه توازن بين المصالح المتناقضة ، فقد عادت إلى فكرة التقسيم لتوزع الفنائم بينها وبين أمريكا ، وتم بينها وبين أمريكا اتفاق سرى على الخطة التى ستببع ، والتى اعترمت أن تنفذ بالقوة والدهاء .

أعلن مستر « بيفن » ( فبراير ١٩٤٧ ) بأن المشكلة القائمة لا يمكن حلها بالمفاوضة ، وأنه ليس للحكومة المنتدبة أن تعطى فلسطين لليهود أو للعرب أو أن تقسمها بينهما ، فلم يبق إلا أن تعرض المشكلة للتحكيم أمام هيئة الأمم المتحدة . وقد دعيت الجمعية العمومية للهيئة للنظر فى الأمر ( أبريل ١٩٤٧ ) فقرر تأليف لجنة قيل عنها إنها ستكون محايدة ، لتجرى حقائق النزاع كأنه لم يكن معروفاً بعد ، وقد بدأت هذه اللجنة التى رأسها القاضى السويدى « ساندستروم » عملها منذ يونيه

من ذاك العام . وجات بالأقطار العربية واستمعت لآراء الفريقين ، ثم قدّمت تقريرها في سبتمبر إلى الجمعية العمومية ، وكانت خلاصة تقريرها الحث على التقسيم .

وتحت تأثير أمريكا والدول الاستعمارية ، وبين المؤامرات والناورات ، وإغراءات الصهيونيين للهندويين بالرشاوى وغيرها ، اجتمعت الجمعية العمومية فلم تصغ إلى صوت المنطق والعدل ، وأصمت آذانها عن حجج أصحاب الحق ، وقررت أن تجعل الاغتصاب أمراً مشروعاً ، وتمزيق الوطن الواحد إلى شطرين متحاربين سياسة صواباً ، وإخراج الناس من ديارهم ليحل محلهم غيرهم من الغرباء عملاً إنسانياً ، مها استتبع من مأس وفواجع . وهكذا أصدرت قرارها في يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وهو يقضى بتقسيم « فلسطين » إلى دولتين : عربية ويهودية ، ووضعت بنفسها الخرائط الموضحة لحدود التقسيم . ومعنى هذا القرار أن يكون لليهود كيان دولي في فلسطين ، تعترف به الدول وتضفي عليه صفة الشرعية ، وهو ما قام في الأصل إلا على أساس الاغتصاب والانتهاك ، ولم يمكن تنفيذه إلا بالسيف والنار اللذين استخدمتهما إنجلترا طوال حكمها لفلسطين ، بالقوة وعلى الرغم من إرادة أهلها . وكان هذا القرار آخر التطورات التي بدأت منذ صدور وعد « بلفور » والثمره التي أسفر عنها الانتداب البريطاني في مدى ثلاثين عاماً .

رفض العرب القرار وما كان لهم إلا أن يرفضوا ؛ وبالرغم مما أثار من عاصفة سخط واحتجاج شديدين بين الشعوب العربية ، فإن أمريكا - متعاونة مع إنجلترا - صممت على تنفيذه ، إذ كان لا بد لها أن ترضى اليهود لتحرز أصواتهم وتنتفع بنفوذهم ، ولا بد أن تطيع قرار مؤتمر الكنائس البروتستنتية الأمريكية الذي انعقد في خلال الحرب وقد طالب بأن تُسلم فلسطين من المسلمين إلى اليهود ، ولا بد أن تقيم دولة عربية في قلب الشرق العربي ، تكون خاضعة لها وبمناطة قاعدة حربية وسياسية يتركز حولها نفوذها ، ولا بد أن تدق إسفيناً في جنب الأمة العربية يظل يهدد أمنها وحياتها ومصيرها ، حتى يستمر ضعفها وتكون فيما بعد لقمة سائغة للاستعمار ، ويسود النفوذ الأمريكي والإنجليزي فوق هذه المنطقة أبداً . سارت الأمور إذن وفق خطة مرسومة : فكان لا بد لإنجلترا أن تعلن إنهاء الانتداب حتى يمكن قيام

النظام الجديد ، ولا بد أن تنسحب من ذلك الجزء في فلسطين الذي تقرر أن تتخلى عنه لليهود . وقد أعلنت إنجلترا أن الانتداب سينتهي في أغسطس سنة ١٩٤٨ ، ثم قدمت الميعاد فجأة فيما بعد إلى ١٥ مايو من نفس العام ، وأخذ اليهود يستعدون للحرب التي كانوا يعرفون أنها قادمة لا محالة وهي واثقة من مناصرة الدولة لها ، حتى إذا هزمت . وهب عرب فلسطين يدافعون عن أنفسهم ووطنهم ، ووفدت عليهم جموع المتطوعين من البلاد العربية وفي طبيعتها مصر ، فأظهر الجميع آيات البطولة والبسالة ، وأبلوا بلاء حسناً .

لا يستطيع المؤرخ بعد هذه النقطة أن يتبين الحقائق بوضوح ، فإن الأمرار والدوافع التي أدت إلى حرب فلسطين ١٩٤٨ لم تكشف كلها بعد ، وهناك أسئلة كثيرة لا يوجد عنها الجواب القنع الشافي . وإنما يبقى لنا أن نسأل : لماذا جُرد أهل فلسطين من سلاحهم وهم الذين كانوا يدافعون عن بلادهم مستميتين ؟ ولماذا تقرر إشراك الجيوش العربية النظامية ، وشل أو معارضة حركات المتطوعين ؟ ولماذا دخلت هذه الجيوش — أو زج بها إلى الحرب — بدون استعداد وبأسلحة فاسدة ، ودون هدف محدد ، وقومر بحياتها وغورم بشرفها ؟ ولماذا اشتركت في القتال دون توحيد للقيادة أو اتفاق على الخطة أو تنسيق بين الأعمال ؟ وكيف خُدع الساسة والقادة ، فإذا بإنجلترا تفاجئهم بإخلاء « حيفا » قبيل نشوب القتال ، ثم تسلم لهم « اللد » بعد ذلك في أثناء القتال ؟ وكيف رضوا أن يكون قائدهم الأعلى الرجل الإنجليزي الاستعماري « جلوب باشا » ؟ وكيف صدرت الأوامر إلى الجيش العراقي ، وقد كان قاب قوسين من النصر ، بالتقهقر ، وكُشف جناح الجيش المصري ، فتمرضت بعض وحداته للحصار ؟ ثم لماذا وافق الساسة والقادة على إعلان الهدنة الأولى وقد كان النصر ملازماً لهم بعد أن سفكت الدماء وضُحى بالأرواح فضاعت الدماء عبثاً ؟ ثم كيف قبلوا أيضاً الهدنة الثانية ؟ وهكذا . . . إلى آخر أسئلة لا تنتهي !

ثم كانت نهاية المطاف عقد الهدنة في « رودس » في مارس ١٩٤٩ ، فانهت الحرب وشرد أكثر من ثمانمائة ألف عربي تركوا يهيمون على وجوههم يقابلون



الجوع والفناء . وإذا بدولة اليهود — التي كان رومان قد أعلن اعترافه بها منذ أول يوم للحرب — تبدو دولة مترامية الأطراف : تمتد حدودها من بحيرة طبرية وسوريا في الشمال إلى العقبة في الجنوب ، وتشمل أهم مدن فلسطين وموانئها ، ومنطقة النقب ، والقسم الأعظم من « القدس » فما هي ذى الآن دولة قائمة — ولم تعد مزعومة كما كان يقال عنها — هي الجار الأول الملاصق لكل من الأقطار : مصر ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، والحجاز ، وتعرض بين هذه الدول كلها ،



وتقطع المواصلات بينها ، وتقوم خطراً ملموساً كبيراً على كل منها . ثم هي بعد أن أحرزت نصرها الأول ، تستعد وتأخذ الأهبة ليوم آخر ثم أيام تحقق فيها مابق من مطامعها ، وتسليح بأقصى ما تستطيع ، وتميش على الشظف ، وتحول كلها إلى جيش كبير وآلة رهيبه للقتال ! فإذا أعدت الدول العربية — وهي

متفرقة متنازعة — لمجابهة هذا الخطر ؟ ماذا صنع ساستها وزعمائها — وهم كثير — لدواء هذه الكارثة ؟ وماذا فعلت جيوشها التي غرر بها لتثأر لشرفها ؟ ثم هل تفكر شعوب تلك الدول جدياً في المدافع والقنابل والأساطيل التي تصنعها اليوم « إسرائيل » لتقذفها بها فتحاول تدميرها ؟ إن الخطر الآن جائم بين ظهرانيها ، وإن هذا هو أكبر خطر

تعرض له الشرق العربي منذ عهد الحروب الصليبية . ولكن هل نحن حقيقة متيقظون له ، مدركون لمداها ، متخذون الوسائل الفعالة للقضاء عليه ، أم نحن لاهون بإرضاء الغرور الذاتي ، والمنازعات الداخلية ، والترهات ، وتوافه الأمور ، والأباطيل ؟

كل هذه أسئلة لا يجيب عنها التاريخ ، وإنما سيوجب عنها المستقبل ؟

## سياسة المحراب !

أبرق المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي بقدر «الفشينسكي» موقفه في مناقشات حوادث الحدود في مجلس الأمن ، ونشر مع البرقية تعليق عليها قلت فيه : «ان دعاة الاسلام والعاملين له في الوقت الذي يرون فيه «الشيوعية» مذهبا دخيلا يغنيينا الاسلام عنه كما يغنينا عن غيره من المذاهب ، يرون من واجبهم ان يقدروا لندوب روسيا موقفه الكريم في مجلس الأمن !» .

واذا بي أفاجأ في اليوم التالي بمقال لعالم فاضل يحمل فيه على هذا «الابراق» وكأنه خشي منه انحرافا آخر اصاب المؤتمر ، أو خشي ان يفهم الناس ذلك ، وذكر في مقاله ان الأعداء في العداوة سواء ، وان كلا منهم لا يقف موقفا الا لمصلحة تعود عليه ، وحرى بنا الا نتخذنا الظواهر فنميل ميلا لا نحمد عقباها .. فتناولت الهاتف (١) وتحدثت معه ، وعاتبته وأنا المحب له — ان يكون تناول مثل هذه الأمور الدقيقة بمقال في صحيفة ، وذكرته ان المكتب الدائم لا يقدم على أمر الا بعد دراسة ، وان أعضاءه كما يعلم هو والحمد لله فوق التهمة .. فدافع عن رأيه وعن المقال ، وجاء على لسانه أثناء الحديث : يا استاذ سعيد ، أمن المحراب الى السياسة أم من السياسة الى المحراب ؟! فقلت له : ثق يا أخى أنها سياسة المحراب .

وأهل المحراب مسئولون ان يرقبوا في نور المحراب الفادي والرائح من أمور الناس ، وان يدركوا مصالح أعدائهم والى أين تتجه ، وأين تختلف ، ولا يجوز لهم طبعاً ان يتوقعوا من عدو أو من غير عدو ان يضحي بمصلحته لمصلحتهم .. ولكن لا بأس أبداً ، بل إنه من الحكمة الواجبة ، ان يعلموا أين تلتقى مصلحته بمصلحتهم ... فيمسكوا الخيط لحسابهم ، وليس معنى ذلك انهم مالوا معه ، ولكن معناه انهم عرفوا أين مصلحتهم ، واعلموا الذين يظنون ان المسلمين مركوبون دائماً ، ومغفلون أبداً ، ان الأمر ليس كذلك ، وان ملايين الدولارات التي يظنون انهم يشترون بها الدم والضمان لا تعدل عند المسلمين موقفاً يخدم قضاياهم ، وان ود المسلمين لا يكسب الا بانصافهم ، وان مظاهرة أعدائهم عليهم معناها عداوة المسلمين كافة ... وذلك أضعف الايمان .

وللمسلمين بعد ذلك طريقهم الذي لا يجوز ان ينحرفوا عنه ... وذلك مفهوم تعلقي على البرقية ، ونحن بذلك لا نزال في المحراب ...

\*\*\*

ليس هذا طبعاً «نص» كلماتي مع صديقي الفاضل على الهاتف ، ولكن كان هذا معناها !

(١) اصطلاح شامى يراد به (التليفون) وهو عربى جميل .

# إلى الحب والعاطفة!

لسماحة الأستاذ السيد أبي الحسن الندوى

وكيل ندوة العلماء بالهند

[قبس من مثنوى مولانا جلال الدين الروم]

قلت في محاضرتي التي ألقيتها في دار العلوم في القاهرة عن العوامل التي كوَّنت شخصية شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال : « والعامل الأخير والمؤثر الكبير في تكوين عقليته وتوجيه رسالته هو المثنوى المعنوي بالفارسية ، قد كتبه مولانا جلال الدين الروم في ثورة وجدانية ونفسية شديدة ، ضد الموجة العقلية الإغريقية التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره ، وقد انتصر فيه للإيمان والوجدان انتصاراً قوياً ، وانتصر للقلب والروح والعاطفة والحب الصادق والمعاني الروحية ، من المباحث الكلامية الجافة والقشور الفلسفية التي كانت تشغل أذهان المسلمين والمدارس الدينية والأوساط العلمية في الشرق الإسلامي . والكتاب متدفق قوة وحياة ، زاخر بالأدب العالي والمعاني الجديدة والأمثال الحكيمة ، والحكم الغالية والنكت البديعة ، وطابعه العاطفة القوية والطبع الريان الذي يملئ هذه المنظومة التي لا تزال فريدة في موضوعها في المكتبة الإسلامية العاصرة ، ولا يزال لها التأثير القوي في تحرير الفكر من رق العقل والتقديس الزائد للقيم العقلية والخضوع للمادية الرعناء . وببعض التمرد على عالم المادية الضيق ، والتطلع إلى أجواء الروح الفسيحة » .

وقد رأيت أن أقدم لقراء « المسلمون » شذرات من هذا المثنوى الخالد ، مقتبسة من كتابي الكبير « رجال الدعوة والفكرة في الإسلام » الذي أنا في تأليفه<sup>(١)</sup> ،

---

(١) يقع الكتاب في نحو ألف صفحة ويبحث عن تاريخ الدعوة والإصلاح والتجديد والجهاد والتفكير الإسلامي ، ويذكر — في تفصيل — كل من مثل دوراً خاصاً في تاريخ الإسلام أو أثر في المجتمع الإسلامي والعقلية الإسلامية . بدأت بتأليفه في أردو وينقل — إذا وفق الله — إلى اللغة العربية . وقد وصلت فيه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وسيملاً — إذا من الله بإكمال — فراعاً في المكتبة الإسلامية على سمعها وغناها .

وقد انطلقت هذه الموجة العقلية السادية من جديد وهي أقوى وأطنى من الأولى ، وقد يتحير الباحث هل يسميها الموجة العقلية أو الموجة الميكانيكية والصناعية ، أو الموجة التجارية ، أو الموجة السياسية ، أو يطلق عليها هذه الألقاب كلها ، ولكنها على كلٍّ مادية لا تعرف الروح والقيم والخلقية ، ولا تعرف من معاني الحب وأنواعه إلا الحب الشهوى ، ولا من العاطفة إلا العاطفة الجنسية ، أما الحب السامى ، البرى ، النزيه ، القوى الأمين ، الذى هو سِرُّ الوجود ، وجمال الدنيا ولذة الحياة ، والقوة الكبرى ، والمميز بين الإنسان والحيوان ، فلا تعرفه ، كذلك لا تعرف من الدوافع النفسية والحركات الخلقية ، إلا الأعصاب — التى تهيج وتوتر بسرعة — والعقل المادى — إن صحَّ التعبير — والنفس الحيوانية ، أما العاطفة الإنسانية العميقة التى يرجع إليها الفضل فى أكثر ما يزوه به التاريخ ويفتخر به الإنسان فهى تجهلها على كثرة دراستها لم النفس والأخلاق .

وقد اندفع العالم الإسلامى — وهو الموثل الأخير للحب السامى والعاطفة النبيلة — من أقصاه إلى أقصاه وراء هذا التيار المادى والحضارة الصماء البكماء التى لا تملك الشعور ولا الضمير ، ولا تحمل القلب بين جوانحها ، وأصبحت الحياة فيه — أو كادت تصبح — نسخة من الحياة فى أوروبا على تحلفه فى ميدان الصناعة والتجارة ، ولكنها روح واحدة ونفيسة واحدة ، وتبرم أيها القارىء من حياة أوروبا الصناعية أو الميكانيكية أو الرياضية ، وتفزع إلى العالم الإسلامى — فى ضَجَرٍ وغَضَبٍ — تتفقد فيه قلباً خافقاً . ونفساً ثائرة ، وروحاً ملتهبة ، وعاطفة جياشة ، وعيناً هطالة ، وماردًا يتمرد على المادة وعِبَادَها ؛ فلا تظفر بطلبتك إلا بعد العناء الكبير والبحث الدقيق .

فى هذا العالم المادى الذى كان يتجرد عن كل عاطفة وروح ، فأصبح مصنعا أو متجراً زردَّ صبيحة مولانا جلال الدين الرومى التى أرسلها قبل سبع مائة عام فتجاوب لها العالم الإسلامى ودوت بها الآفاق ، والعالم الإسلامى أحوج إليها اليوم منه بالأمس .

عصر الرومي :

لقد هبت عاصفة عقلية جامعة في القرن السابع بمشها علم الكلام الذي كان الشغل الشاغل للمسلمين في القرون الأخيرة ، وكانت هذه العاصفة عاتية شديدة انطفأت بها كوانين القلوب وبجواهرها ، وإذا كانت لا تزال بقية من جرات الحب والماطفة فقد كانت كامنة في الرماد مغلوبة على أمرها ، وقد أصبح المسلمون بمد ما كانوا شعلة من الحياة وجذوة من النار ، ركاما بشريا أو فخما حجريا بمد عهدهم بالنار والحرارة .

في هذا الجو الهادي الخامد هتف مولانا جلال الدين الرومي بالحب والماطفة حتى هب العالم الإسلامي من نومه العميق ودبت فيه الحياة .

الدعوة إلى الحب :

لقد دعا الشيخ إلى الحب دعوة سافرة ، وذكر عجائبه وتصرفاته في بسط وتفصيل فيقول : « إن الحب يحول المرء حلوًا ، والتراب تبرا ، والكدر صفاء ، والألم شفاء ، والسجن روضة ، والسقم نعمة ، والفقر رحمة ، وهو الذي يلين الحديد ، ويذيب الحجر ويبعث الميت وينفخ فيه الحياة ، ويسود العبد » .

ويذكر قوة الحب وعلوه فيقول : « إن هذا الحب هو الجناح الذي يطير به الإنسان المادي الثقيل في الأجواء ، ويصل من السمك إلى السماء ، ومن الثرى إلى النزيا ، إذا سرى هذا الحب في الجبال الراسيات ترنحت ورقصت طربا » فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكّا وخراً موسى صمعا .

ويذكر أن الحب غنى أبي ، لا يحتفل بالملك والسلطان ، من ذاقه مرة لم يسغ شرابا ، يقول : « إن الحب غنى عن العالمين ، إن كان الشغف بالمحبوب ونفى ما سواه جنونا فهو سيد المجانين » .

إنه ملك الملوك تخضع له أميرة الملوك وتيجانهم ، ويخدمه الملوك كالعبيد يقول : « إن الحب كامن كالنار ولكن الحيرة بادية ، متواضع ولكن نفوس الملوك الذين يملكون النفوس له خاشعة » .

وإذا ذكر الروى هذا الفقر الجسور والحب الغيور أخذته نشوة ونادى بأعلى صوته « بارك الله لعبيد المادة وعباد الجسم في ملكهم وأموالهم ، لا تنازعهم في شيء ، أما نحن فأناي دولة الحب التي لا تزول ولا تحول . »

« إن جميع المرضى يتمنون البرء من سقمهم ، إلا أن مرضى الحب يستريدون المرض ويحبون أن يضاعف في ألمهم وحنينهم ، لم أر شرباً أحلى من هذا السم ، ولم أر حبة أفضل من هذه العلة . »

« إنها علة ولكنها علة تخلص من كل علة ، فإذا أصيب بها إنسان لم يُصَبْ بمرض قط ، إنها حبة الروح بل روح الصحة ، يتمنى أصحاب النعيم أن يشتروها بنعيمهم وريحانهم » كأنه يعارض الشاعر العربي في قوله :

ولى كبد مقروحة من ييمنى بها كبداً ليست بذات قروح  
أباها على الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح

فلو عرف هذا الرجل الذى كان ينادى على كبده قيمة هذه الكبد المقروحة لما تنزل إلى ييمها والتخلي عنها ، ولو عرف الناس قيمتها لأشتروها بملك الدنيا وعافية الأجسام ، فاقية كبد لم تفرح ؟ إنها مضنة اللحم وقطعة حجر !

إن هذا الحب البرى السامى يصل بالإنسان إلى حيث لا توصله الطاعات والمجاهدات « لم أر طاعة أفضل من هذا الإنتم ( عند من يسميه إنتما ) إن الأعوام التي تنقضى بغيره لا تساوى ساعة من ساعات الحب . »

إن الدم الذى يسيل في سبيله لا يشك في طهارته ، إن شهيد الحب لا يحتاج إلى الغسل « إن دماء الشهداء أفضل من الماء الطهور ، يالها من خطيئة إن كانت خطيئة » يقول إن المحبين الذين بذلوا مهجهم وأحرقوا قلوبهم لا تنفذ عليهم القوانين العامة ، ولا يخضعون للنظم السائدة ، ويضرب الروى لذلك مثلاً بليغاً فيقول : « إن القرية التي خربت لا تفرض عليها الجبايات والضرائب . »

ويقارن بين الحب البرى والعقل الشاطر فيقول : « إن الحب تراث أئتنا آدم ، أما الدهاء فهو بضاعة الشيطان ، إن الداهية الحكيم يعتمد على نفسه وعقله ،



أما الحب فتفويض وتسليم ، إن العقل سباحة قد يصل بها الإنسان إلى الشاطئ .  
وقد يفرق ، وإن الحب سفينة نوح لا خوف على ركبها من الغرق » .

هذا ، وبحر الحياة هائج مائج ليس السباحة فيه بالخطب اليسير ، تغير للإنسان أن  
يأوى إلى سفينة مأمونة من الغرق وهي سفينة الإيمان والحب ، يقول : « لقد  
رأينا كثيرا ممن يحسنون السباحة قد غرقوا في هذا البحر اللجى ، ولكننا ما رأينا  
سفينة الإيمان والحب تغرق » .

ثم إنه يفضل حيرة المحبين على حكمة الحكماء الباحثين ، ويحث على الحرص  
عليها والتنافس فيها لأن « الحكمة ظن وقياس ، والحيرة مشاهدة وعرفان » .  
أنه يقول : « ليس لكل أحد أن يكون محبوباً فإنه يحتاج إلى صفات وفضائل  
لا يَرزُقها كل إنسان ، ولكن لكل أحد أن يأخذ نصيبه في الحب وينعم به » فإذا  
فانك أيها القارئ العزيز أن تكون محبوباً فلا يَفُتُك يا عزيزي أن تكون محباً ،  
إذا لم يكن من حظك أن تكون يوسف <sup>(١)</sup> ، فمن يمنحك من أن تكون يعقوب <sup>(٢)</sup> ،  
وما الذي يحول بينك وبين أن تكون صادق الحب دائم الخنين » .

ويزيد الشيخ على ذلك أن لذة الحب لا تعدلها صولة المحبوب ، فإذا عرف المحبوبون  
ما ينعم به العشاق المقيمون والمحبون المخلصون لمننوا مكانهم وخرجوا من صف المحبوبين  
السعداء إلى صف المحبين البؤساء .

### ولكن :

ولكن إلى من يوجّه هذا الحب الذي هو نور الحياة وقيمة الإنسان ؟ إن الحب  
خالد لا يجدر إلا بالخالد ، إنه لا يجمل بمن كتب له الفناء والأفول ، إنه حق الحى الذى  
لا يموت ، الذى يفيض الحياة على كل موجود ، يستدل الرومى على ذلك بقصة سيدنا  
إبراهيم ويتمثل بقوله « لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ » .

« إن هذا الحب يجرى من صاحبه مجرى الروح والدم ، إن وضع في محله وصادف  
أهله فإنه شمس لا ينتابها الأفول ، وزهرة ناضرة لا يمتريها الذبول ، عليك بهذا الحب

السرمدي الذي يبقى ويفنى كل شيء ، الذي يدور عليك بكؤوسه التي تروى ظمأك ، عليك بهذا الحب الذي ساد به الأنبياء وحكموا .

### لا داعي إلى اليأس !

ولكن ليس للمحب الطموح أن يشكو قصوره ، ويحتقر نفسه ، متمللاً بسمو المحبوب وعلو مكانته وغناه عن العالمين ؛ فما للتراب ورب الأرباب !  
لأن المحبوب الحقيقي هو الذي يُحِبُّ أن يُحَبَّ ، ويجذب إليه كل من انجذب :  
« اللَّهُ يُجْتَنِبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ » يقول مشجعاً :  
« لا تقل لا سبيل لي إلى ذلك الملك الجليل ، فأنا عبد ذليل ، لأن الملك كريم يدعو عبده ويسهل له السبيل » .

ويعود فيتعنى بهذا الحب ويعرظه في سرور ونشوة ويقول : إنه في ما يبدو للناظر علة علاجها عسير وصاحبها في تعب وعذاب ، ولكنه إذا احتملها وثابر عليها وصل إلى المعرفة الحقيقية والحياة الأبدية « إن الحب منشأ انكسار القلب وجرح الفؤاد ، إنه علة لانتشبهها علة ، إن علة المحب تختلف عن كل علة ، إن الحب اضطراب الأسرار الإلهية » ثم يذكر أن هذه العلة وإن كانت في ذات نفسها علة ولكنها شفاء للأسقام النفسانية والأمراض الخلقية ، إن الأمراض التي أعيت الأطباء ، وتعذر منها الشفاء ، وقطع منها المصلحون الرجاء ، تبرأ وتزول بلفتة من هذا الحب . فإذا برأ منها السقيم الذي يئس من صحته ، هتف في سرور وطرب « حياك الله أيها الحب المضني ، يا طبيب عايتي وسقمتي ، يادواء مخوتي وكبري ، يا طبيبني النطاسي ، ويامداوي الأمي »

هذا لأن الحب شعلة إذا التهبته أحرقت كل ماسواه ، فلا كبر ، ولا خيلاء ، ولا جبن ولا خوف ، ولا حزن ، ولا حسد ، ولا بخل ، ولا عيا من الميوب النفسية ، إن موجة الحب تجرف بالحشيش ، وتسرى في النفس سريان النار في الهشيم ، « إن الحب شعلة تحرق كل ماسوى المحبوب ، إن التوحيد سيف إذا سلته صاحبه قطع كل ما عدا الله ، فحياك الله وبياك أيها الحب الذي لا يحتمل الشرك » .

ويمسك مولانا بمد هذا النفس الطويل في مدح الحب ووصفه ، ويقول : « إن حكاية الحب لا تنتهي ، وتفنى الدنيا ولا تنقضي عجائبه ؛ لأن الدنيا لها نهاية وغاية والحب وصف من لا يفنى ولا يموت » .

عالم القلب :

ولكن لاسبيل إلى هذا الحب إلا بالقلب الحى الغائض بالحياة والحرارة . وقد طفت الناحية العقلية فى عصره كما قدمنا ونحطت حدودها وتضخمت على حساب القلب والماطنة ، فهما استنارت العقول فقد بردت القلوب وفقدت حياتها وحرارتها ، وأصبحت المعدة قطبا تدور حوله رضى الحياة . وقد أثار الروى حديث القلب وماله من مكانة وكرامة فى حياة الإنسان ، وما تحويه من عجائب وكنوز ، وذكر أن الإنسان يحمل فى جسمه روضة أكلها دائم وربيعة قائم ، وأنه يحمل فى جسمه الصغير عالما أوسع من هذا العالم المادى لا يخاف عليه من عدو ولا يطرقه لص « إن القلب بلد عامر مأمون ، وحصن محكم مصون ، روضة مباركة لا ينفد نعيمها ولا ينضب معينها ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » .

وذكر أن حدائق العالم لا تطول حياتها ولا تأمن الآفات والمآهات ، ولكن تحلة القلب دائمة النضارة والثمار ، إن الحدائق تبطئ فى النماء وتسرع فى الفناء ، أما القلب فسرير النمو ببطء الزوال « إن روضة الجسم لا تلبث أن تصبح صريحا شبيها فينادى صاحبها واحسرتاه ، أما روضة القلب فلا تزال مخضرة مثمرة فينادى صاحبها وافرحتاه » .

فالذى يحاول أن يحافظ على صحته وشبابه ويبقى شابا قويا لا تتحقق أمنيته ، والذى يمتنى بقلبه ويحسن تربيته وتغذيته يبقى شاب الروح ، نشيط الجسم ، قرير العين ، ناعم البال جذلان مسرورا « عليك بالقلب حتى تدوم شابا ، تتجلى فى وجهك الأنوار فيشرق » .

عليك بالقلب حتى تبقى زاخر الحيوية والنضارة مثل الصهباء ، مهللا كزهرة ناضرة ووردة باسمة » .

ولكن لا تنرنك كلمة « القلب » فليس القلب هذه القطعة التى تحف فى صدرك وتتجمع فيها الشهوات والمطامع ، ليس القلب هو الذى لم يذق طعم الحب ولم يعرف معنى اليقين ، ولا يملك شيئا من الشوق ، الذى لا تتفتح زهرته ولا يشرق ليله ، فليس هو القلب ، إنما هو قطعة من حجر أو خشب ، « إنه ضيق مظلم مثل قلب اليهود ، لانصيب له من حب الملك الودود ، إنه لا يشرق ولا ينير ، ولا ينشرح ولا يتسع » .

إنه ليس بين هذا القلب الميت وبين القلوب الحية إلا الاشتراك في اللفظ والشبه في الجسم ، كما أن الماء الذي يجري في الميون الصافية والأنهار الجارية يسمى ماء والذي يختلط بالطين والوحل ويُرى في المستنقعات يُسمى ماء كذلك ، ولكن الأول يروى الظما وينقى الثوب ، والثاني لا تُنسل منه اليد . هذا هو الفرق بين القلب والقلب ، إن قلوب الأنبياء والأولياء تملو على السماء ، أما قلوب أشباه بني آدم فهي قلوب أشباه القلوب وليست بقلوب ، فإذا قلت « قلبي » فانظر ماذا تقول .

« تقول قلبي قلبي ، فهل نعرف أن القلب من أمانات السماء ؟ إن الحما لا شك يحمل ماء ولكنك لا ترضى أن تنسل به يدك ، لأنه إذا كان ماء فهو ماء يغلب عليه الطين والوحل ، فلا تسم ما يحقق في صدرك « القلب » إن القلب الذي هو أعلى من السموات العلى ، هو قلب الأنبياء والأصفياء .

ولكنه يسلي قارئه ولا يريد أن يكسر قلبه ويثبط همته فيقول : « إن سلعتك التي لا يرغب فيها مشتر قد اشتراها الكريم تكريماً وتفضلاً ، إنه لا يرفض قلباً من القلوب لأنه لا يقصد به الريح .

ثم ينصح قارئه بالانطلاق من هذا القفص الذهبي الذي يسمى « المدة » ، والطيران في أجواء القلب الفسيحة والاطلاع على عجائب خلق الله والتنعم بلذة الروح ، يقول إن المدة وعبادة المادة هو الحجاب الصفيق بينك وبين ربك فإذا رفعت هذا الشر لم يكن بينك وبين ربك حجاب « تحطّ حدود المدة وتقدم إلى قلبك تأتيك تحيات الرحمن من غير حجاب » .

هذا بعض ما قاله مولانا جلال الدين الرومي — زعيم المتكلمين في عصره — عن الحب والقلب وال عاطفة ، وكان رد فعل ضدّ الثورة العقلية والكلامية التي أمانت القلوب وشلت الأيدي والقوى ، وكان لشعره وأفكاره رنة في العالم الاسلامي ودوى في الأوساط الأدبية والعلمية لم يُعرف لشاعر ولا لمفكر في الزمن الأخير ، وقد شغل العالم الاسلامي قروناً كثيرة ، وحدّ من سلطان العقول الجامعة التي لا تعرف قدرها ، ولطّف من حدة المباحث الكلامية ، وردّ إلى القلب وال عاطفة بعض حقهما .

وتتناول في مقالنا الآتية ما قاله عن كرامة الإنسان والشرف الإنساني ، والدعوة إلى الكفاح وحلوله للمباحث الكلامية وألغاز الكون وعلم الكلام الذي يتفرد به ، والذي لا يزال مثالا في الحكمة والإقناع حتى في عصرنا الحاضر .

## الامتِّ الواحد

للإمام الشهيد حسن البنا

« وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ  
فَاتَّقُونِ . فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا  
لَدَيْهِمْ فَرِحُون . فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ » .

\*\*\*

لهذا الإسلام في الوجود مهمتان :

أولاهما : صياغة الأفراد صياغة إنسانية جديدة ، أساسها : الصلة بالله والتعرف  
إلى الملائ الأعلى ، وإبراز خصائص الإنسان العليا ، وتطهيره من أدران الغرائز الدنيا ،  
والتجافي به عن كل مالا يتفق مع كمال إنسانيته وطبيعة فطرته وميزته ، واستكمال  
معاني القوة والجمال ، والسمو بيدنه وعقله ووجدانه ليكون في أحسن تقويم ؛ وإنما  
يكون ذلك بالقدوة الصالحة ، والفكرة الصالحة ، والتزكية الصالحة :

« رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وثانيتهما : صياغة المجتمعات البشرية صياغة إنسانية عالمية جديدة كذلك ، بتأليف  
بناء متماسك قائم ، ومجتمع موحد فاضل من هذه اللبنة الصالحة ؛ يبدأ بالجماعة  
المتأيزة ، ويتطور إلى الأمة المتأيزة ، ويسرى وينتشر ويعم حتى يشمل العالم كله  
فيتحقق قول الله تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

« كُنْتُمْ خَيْر أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

ومن هنا كانت الجماعة التي تؤمن بالإسلام والشعب الذي يؤمن بالإسلام ومجموعة الشعوب التي تؤمن بالإسلام ، مهما اختلفت أوطانها وألوانها وأجناسها وناسها ، تعتبر جميعاً في عرف الإسلام أمة واحدة ، قوية التماسك ، عظيمة الترابط ، قد ارتفعت صلتها إلى درجة الأخوة ، ثم تجاوزتها إلى الحب ، ثم علت حتى صارت إلى الإيثار :

« وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » ، وَمَنْ يوقِ شَحْنَهُ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ » .

ومن هنا كان الإسلام عقيدة وجنسية ، ليست جنسية الدم والأرض ، ولكنها جنسية الأخوة والروح ، وهي أقوى وأفضل !!  
ومن هنا جاء القرآن يقرر هذه الحقائق فيقول :

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » ويقول : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ويقول : « وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » .

ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في أحاديثه الشريفة فيقول : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتماطفهم كتل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له الجسد بالسهر والحمى » ويقول : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شيء ، إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ويقول : « إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون . وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة : المشاءون بالنميمة والمفرقون بين الأحبة ، الملتصقون للبرءاء العيب » .

وكما قرر الإسلام لهذه الوحدة هذه المعاني الإيجابية فقد حرص على أن يحتاط من الناحية السلبية ، فيحذر أمتة من كل معاني الفرقة وعواملها ، فيقول القرآن الكريم :



« ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ »  
ويقول « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْبِزُوا أُنفُسَكُمْ ، وَلَا تَنَازَعُوا بِاللِّقَابِ ، بئسَ الاسمُ الفُسُوقُ بعدَ الإيمانِ ، ومن لم يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَبِ بَمَعْضِكُمْ بَعْضًا ، أَعْجَبَ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم — وفي رواية والصدقة — قالوا بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » .

وكثيراً ما ترد كلمة الإيمان بمعنى الوحدة ، وكلمة الكفر بمعنى الفرقة في لسان الكتاب والسنة ؛ فيقول القرآن الكريم :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » .

وسياق الآيات وحادثة نزولها تعين أن المعنى — والله أعلم — يردوكم بعد وحدتكم متفرقين وكيف تفرقون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم وجوه بعض » .

والسياق والحادثة كذلك يحتمل أن يكون المعنى : لا ترجعوا بعدي مختلفين ، يضرب بعضكم وجوه بعض . وفي هذا الاستعمال والتعبير أعظم الترغيب في الوحدة ، وأعظم التنفير من الخلاف والشقاق .

فيا أيها المؤمنون بكتاب الله الكريم ، وحديث النبي العظيم محمد صلى الله عليه

وسلم : هذا كتاب الله يدعوكم إلى الوحدة ، وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم عليكم الخلاف والتفرقة . فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟ .

اختلفتم في الدين ، خلاف عصبية وأهواء وجدال وأراء ، لا خلاف تمحيص وبحث واستهداء ، فعميت عليكم حقيقته ، وفرت من بين أيديكم هدايته ، وبقيت في رؤوسكم ونفوسكم قشوره وصورته ، فكنتم مسلمين بالأسماء والمواطن ، لا بالقلوب والمواجد .

وإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .  
واختلفتم على الدنيا فانزعجها الأجانب من بين أيديكم ، وتعاونوا عليها شركات وجماعات ومصارف وهيئات ؛ ففازوا بها من دونكم واستذلوكم بفتاتها ومثوا عليكم بالحقير التافه من أعراضها .

واختلفتم في السياسة شيعاً وأحزاباً ، وطوائف وألقاباً ، فذهبت ربحكم واستعبدت دولكم ، وتمكن العدو في أرضكم ، وضرب بعضكم ببعض ، ووقف يرمقكم ويسخر من تنازكم بالألقاب وتقاذفكم بالسباب ، فكفيتموه أمركم وأرحتموه من عناء جهادكم ، وفعلتم بأنفسكم ما لم يفعل بكم الخصوم : قللتم المدد ، وأوهنتم الجلد ، وخسرتم المال والولد ؛ ولم تحصلوا بعد ذلك على شيء ، دنياكم ذلة وخصام ؛ وآخرتكم تبعات بين يدي الله جسام ، فإلى متى والزمن يدور ويجرى ، والفرص تسنح وتمضي ؟

أيها المؤمنون بالله ورسوله وكتابه : تنادوا بكلمة سواء ، وتعالوا إلى منهاج واضح مبين :

« أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

وأن نرضى بالله رباً فنفر من المطامع الشخصية إليه ، وبالإسلام ديناً فننهج نهجه ونأخذ عنه ونطبق كل تصرفاتنا عليه ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، فنقتدى بسيرته ونهتدى بسنته ، ونسير تحت رايته إلى حيث النصر والسيادة في الدنيا ، والجنة والمغفرة في الآخرة :

« فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا : اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

# برنامجنا الاقتصادي

للاستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بباكستان

( ٢ )

## محور الاقتصاد الإسلامى :

يدور الاقتصاد الإسلامى حول محور ثابت متين ، هو الزكاة .  
وليست الزكاة مجرد ضريبة يدفعها حائز المال كما يظن عامة الناس ، ولكن الزكاة  
فلسفة اقتصادية عميقة اشتملت على العناصر الأساسية التى تميز الاقتصاد الإسلامى  
والتي تجعله يختلف عن غيره بما ينفرد به من مناعة طبيعية ضد الأمراض الاقتصادية  
التي ما فتئت تفتك بالمجتمعات البشرية حتى أوردتها موارد التلف ، وألجأتها إلى تلك  
المذاهب الواهنة ، من اشتراكية غامضة ، إلى رأسمالية ظالمة ، إلى فاشية مستبدة ، إلى  
غير ذلك من مذاهب باهتة وفلسفات تشد نفسها بمجرد ظهورها ، أو تشد من اتبعها  
من الداعين لها بحكم خسرانها وهتائها .

## فلسفة الزكاة :

تقوم فلسفة الزكاة على مبدأ التكافل الاجتماعى ، ذاك المبدأ الذى أحله الإسلام  
مقام الصدارة فى مجتمعه ، فالفرد مسئول عن غيره مسئولية لا نجد لها نظيراً فى أى  
مذهب آخر : سماوى أو دنيوى ، وليست هذه المسئولية مجرد مسئولية معنوية ولكنها  
مسئولية مادية ، نظمها الإسلام بحيث لا يمكن للفرد المسلم أن يتخلص منها ، حتى  
لو أراد ذلك وقصده . ونحن هنا لن نعرض إلا للناحية الاقتصادية من هذا التكافل ،  
ولن نعالجها من ناحيتها الروحية ، بالرغم مما لهذه الناحية من أثر عميق فى نشاط  
الأفراد ، وبالرغم عن أن الفرد فى تصرفاته لا يصدر قط عن دوافع مادية فحسب  
كما أوضحنا آنفاً .

النشاط الاقتصادى فى الإسلام :

يأمر الإسلام بالقوة الإنتاجية فى كل نواحيها ، ويحضّ على العمل الصالح . وكل عمل صالح لا يمدو أن يكون إنتاجاً : أى نشاطاً اقتصادياً مبذولاً بقصد إشباع رغبة تقي على الغير نفعا ، ويلاحظ أن هذا التعريف يتفق مع الاصطلاح العلمى الحديث ، من حيث كون الإنتاج مقصوداً به نفع الغير أو إشباع رغبته ، ويختلف عن التعريف الحديث فى تفسير إشباع الرغبة ، فما كان منه متمشياً مع التكافل عند إنتاجا اقتصادياً ، وما تمارض مع هذا المبدأ لم يمدد كذلك . والقاعدة الفصل فى الحكم على الأشياء من وجهة إنتاجيتها كتاب الله وسنة رسوله ، فما اتفق معهما فهو عمل ( صالح ) أو إنتاج له منفعة ، وما نهى عنه فليس بنشاط اقتصادى إذ يؤدى إلى تفكك هذا التكافل ، وما استحدث من أمر فردة إلى نفس النطق : مدى ما يجنيه المجتمع من نفع نظير ما بذل من مجهود .

ولقد استثمر الإسلام أن الإنتاج لا يكون فقط لإشباع رغبة ، إنما يقصد به الاستبدال لإشباع الرغبات ، فالذى ينتج ورقاً أو منسوجات لا ينتجها لإشباع رغبته فى الورق والمنسوجات ، ولكن ليستبدل بها ما يحتاجه من لوازم الحياة . من أجل هذا ربط الإسلام الإنتاج بالتداول أو ترق رباط حينما شرع للأفراد ما يلزمهم الإنفاق وما يحرم عليهم الاكتناز Hoardiup ، بل لقد شق الإسلام بطن الغيب فنظم التداول ( وهو الوساطة بين الاستهلاك والإنتاج ) بما يحاول اقتصاديو الغرب أن يصلوا إلى مثيله ، تنظيماً من شأنه ألا ينصرف الفرد إلى تعويق الإنتاج أو الحد من الاستهلاك ، ورتب على هذه الوساطة توازناً دائماً بين الأمرين ، يحقق أكبر منفعة للفرد وللجماعة فى آن واحد .

وقبل أن نستطرد فى وصف النظام الاقتصادى الإسلامى يحسن أن يتبين القارئ بعض الحقائق الاقتصادية الأولية .

أساس المبادلة :

الأصل فى الجماعات البدائية التى مازالت على الفطرة ، والتى يعيش أفرادها مشتتين متفرقين أن يكون الإنتاج لإشباع الرغبات مباشرة ، فالفرد يصطاد الحيوانات

لياً كلها أو ليستخدم جلودها سكناً ولباساً؛ وإن رعى الحيوانات، فهو في الأغلب يهدف إلى إشباع مباشر، فإن اقتضته الظروف أن يلتمس حاجة لاسبيل إلى أن ينتجها بشخصه لحاً إلى المقايضة، فيبادل مَنْ عنده فائض من هذه السلعة التي يرغب فيها نظير فائض صيده أو ماشيته. فلما أن ارتقت البشرية بعض الشيء ابتداء التخصص وزاد إنتاج الشخص حتى صار ينتج للأسواق، وكان هذا منذ عهد سحيق، واستلزم هذا التخصص اختراع وسيلة تسهل المقايضة وتجعلها ممكنة، إذ لا يخفى أن من عنده جبل مثلاً يريد أن يستبدل به سلعةً أخرى، سيلاقى الأمرين في سبيل ذلك، فللجمل قيمة ليست صغيرة ولا سبيل إلى تجزئة الجبل، فإذا أراد أن يستبدل به ثوباً ونمجة وسكيناً وآنية مثلاً، فيجب أن توجد هذه السلع جميعاً لدى فرد واحد أو أفراد يقبلون أن يأخذوا الجبل (على الشيوع) فيما بينهم، كما يجب أن تكون قيم هذه الأشياء مجتمعة مطابقة لقيمة الجبل. وواضح أن توافر مثل هذه الشروط ليس بالأمر الهين سواء أكان ذلك في مجتمع بدائي أو مجتمع راقٍ متحضر.

### النقود :

أُلجأت حاجة الاستبدال إذن — وهي الناشئة من التطور نحو التخصص — إلى استعمال واسطة للتبادل هي ما توافقنا على تسميته بالنقود، وقد اتخذت النقود أشكالاً مختلفة متباينة، فآناً هي سلعة ميسورة للجميع كالأبقار لدى الرعاة، وآناً حجراً أملس استدير بشكل خاص، وآناً ملحاً عزيزاً، وآناً نحاساً مضروباً، ودهراً ذهباً لا شكل له، ودهراً ذهباً سك على غرار معين الخ. ومنذ ابتداء الإنسان استعمال النقود تعلم الفرد نسبة السلعة إلى غيرها مقيسة بالنقد أو مبرراً عنها بهذا النقد. فمن أراد أن يستبدل ثوباً بآنية تصور طول ما يمكن أن يضحي به من النسيج مقابل الآنية التي يبغي الحصول عليها، ومن هذه النسبة اشتق قيمة النسيج بالنسبة للنقد كائناً ما كان ذلك النقد: غنماً أم ملحاً أم ذهباً، فهو إذن (بيع) هذا القدر الفائض من نسيجه: أي يتنازل عنه، نظير قدر معلوم من النقود يستعمله في (شراء) الآنية: أي يستبدله مرة ثانية للحصول على ما يريد. انقسمت إذن عملية المقايضة باستخدام النقود إلى قسمين: بيع وشراء، وسهلت إذن عملية المقايضة إلى حد كبير. والمهم هنا

هو أن تثبت بصورة لا تقبل الجدل أن المقصود من النقود هو تسهيل المبادلة لا أكثر ولا أقل ، وأن النقد في ذاته منذ البداية لعب دور ( الوكيل ) مع ( موكله ) وهو السلعة .

وتمّ أمر آخر نلفت إليه النظر وهو أن كل بيع في الأصل إنما قصد به شراء ، فصاحب النسيج لم يقصد إلى التخلص من نتيجة عمله وإنتاجه إلا أن يشتري سلعا أخرى ، فقد يشتري بالنسيج عملا ( أجور عمال ) أو مادة أولية يصنع منها النسيج ( صوفاً أو قطناً ) أو آلة جديدة ، هذا عدا ما يحتاجه كفرد من سلع تشبع رغباته الخاصة : من مأكل ومشرب ومسكن وغير ذلك . هذه النقطة بالغة الأهمية لأن عملية فصل المقايضة باختراع النقد أتاحت للبائع فرصة تأجيل الشراء والإمساك عنه ، إذ بمجرد تمام عملية البيع يتخلص المنتج مما عرضه من إنتاج ويحتاز ( حقا ) ممثلا في الثمن الذي قبضه نقداً يخول له ( الشراء ) حسبما أراد . وهذا مصدر كبير من مصادر الخطر في النظام الاقتصادي ؛ إذ كل بيع يجب أن يتبعه شراء ، وغالفة هذه القاعدة تؤدي إلى بقاء كثير من السلع الأخرى في يد منتجها . وحتى يتضح الأمر تماما نفرض أن مجتمعا ما يضم الفردين السابقين : منتج النسيج ومنتج الآنية ، فلو باع الأول للثاني بعض النسيج واحتجز الثمن لديه لما استطاع الثاني أن يبيع شيئا ، ولبقيت آنيته في مخزنه وحاجاته الخاصة غير مشبعة ولعجز عن شراء نسيج جديد ، إذ أتى له المال وهو لم يتمكن من تصريف سلعته .

إذا وضع هذا المعنى أدركنا معنى أن النقد وكيل فحسب ، وأن استعماله في أى وجه غير الوجه الذي اخترع لأجله مجاف للحكمة من وجوده ؛ ومجلبة لضرر محقق يحقق بالمجتمع كله بما فيه الفرد الذي أساء استعماله ؛ إذ في المثال الذي سبقناه لن يتمكن صانع النسيج من بيع كميات أخرى من إنتاجه مهما رخص ثمنها ، وسبب ذلك احتجازه للثمن وخروجه عن مبدأ المقايضة الراقى : أعنى ضرورة الشراء نظير البيع . ولعل من لطائف التعبير أن يستعمل الله جل جلاله وتقديس علمه لفظ ( شرى ) بمعنى باع إذ الواقع أن البيع والشراء لفظان لعملية واحدة لم ينفصلا ، أو لم يوجد إلا شئت ، إلا تسهيلا للعملية ذاتها وهي تبادل المنافع ومقايضتها بما يبقى على الناس الخير ويخدم



مصلحتهم ، فما لاشك فيه أن الإنسان لا يبادل إنتاجه بإنتاج آخر ما لم يكن في حاجة إلى السلعة الأخرى التي يقاوض عليها ، وما لم تكن تلك الحاجة من الأهمية والإلحاح بحيث يرضى أن يتخلى عن بعض إنتاجه في سبيل الحصول عليها .

#### وظائف النقود :

ولنمد الآن إلى النقد بوصفه ( وكيلا ) عن السلعة . معلوم أن الوكيل غير الموكل ولكنه يمثلها تماما وله من الحقوق ما للموكل ، وهذا حق يقرره كل منصف عادل . ولكن من الإنصاف أيضا أن نقول : إن على الوكيل من الواجبات والتبعات ما على الموكل ولا تتصور وكالة بغير هذا الوصف . هذه الحقيقة على بدايتها ووضوحها قد تحورت تماما حتى صارت ( باطلا ) في حالة استعمال النقود . ولقد نبه الإسلام إلى خطورة هذا الباطل على النظام الاقتصادي خاصة والسكان الاجتماعى التكامل عامة ، وحذر من التمويه على النفس والغير ومن وخامة عاقبته .

أما كيف شوهت هذه الحقيقة فأمر يلسمه الجميع ، ولو سألت أى فرد سواء أكان ملما بالاصطلاحات الاقتصادية أم جاهلا بها : ماوظائف النقود لا يتدرك مجيبا أن النقود وسيلة لاختزان القيم وبها تقاس أيضا ، كما أنها وسيلة لتبادل السلع ، وهى أيضا طريقة تعارف المجتمع عليها لإبراء ذمة المدين .

قد تسمع هذه الألفاظ بنصها أو قد تسمعها بألفاظ أخرى ؛ ولذلك ربما كان من الأنسب أن توضح هذه المعانى : فأما أنها مخزن للقيمة فذلك تعبير قاله الاقتصاديون القدماء وورثناه مرددين له دون أن ندرك جسامة الخطأ من مجرد تركيبه ، والشخص العادى يقصد منه أن النقد يتيح للفرد أن يخزن ثمن ما يباع من إنتاجه ، فلو أنتج فرد سلعة ثم باعها وحصل على عشر وحدات نقدية ثمنا ، ثم أنفق ثمانية منها لسد حاجاته وأبقى وحدتين فى خزائنه فإنه بذلك يكون قد اكتنز وحدتين أو اختزنهما . أما وجه الخطأ فى التعبير الاقتصادى الموروث فهو فى نسبة الاختزان إلى القيمة ، إذ أن لفظ القيمة - مهما اختلف الاقتصاديون فى تعريفه وهم كذلك - فإنه يعنى نسبة منفعة سلعة إلى منافع باقى السلع الأخرى بالنسبة لفرد من الأفراد . فإن قلت أن هذه الصورة لها قيمة كبيرة عندى ، عنيت بذلك أن نسبة إشباع الصورة لرغبة فى نفسك

إلى إشباع سائر ما يحتاجه من رغبات ، نسبة كبيرة ، وقد يعبر عن هذه النسبة بمدلول جبرى أو بوحدة نقدية ، وسواء أكان التعبير برمز أو بتقد فذلك لا يغير من طبيعة القيمة التى هى نسبة والنسبة معنى أبدا دائما ، واختزان النسبة مستحيل عقلا ، فكيف تكون النقود مخزنا للقيمة إذن ؟

والصفة الثانية أن النقود مقياس للقيمة ، وهذا لاشك أمر ضرورى . فأنت حين تريد استبدال إنتاجك بغيره من إنتاج الناس عن طريق النقد ، إنما تقيس المنافع المرجوة بمقياس النقود . على أن العجيب فى الأمر أن النقد هو المقياس الوحيد الذى ليس بمقياس ثابت ، كما أنه المقياس الوحيد الذى خرج عن معنى القياس . أما كونه ليس مقياسا ثابتا فذلك أن قيمة النقد غير ثابتة فى ذاتها فى المجتمع الاقتصادى غير الإسلامى ، سواء أكان النقد معدنا ذهبيا أو فضة أم ورقا . وكلنا يعلم تماما ما يطرأ على قيمة النقود من تغيرات ، فقد يكثر النقد بالنسبة إلى المنتجات فتقل قوته الشرائية وتنخفض قيمته ، وقد يقل النقد بالنسبة إلى مجموع الإنتاج فتزيد قوته وترتفع قيمته . وأعجب من مقياس للمساافات يطول اليوم ويقصر غدا ، وأعجب من مقياس كيف تستقيم الأمور وكيف تكون حال سوق المنسوجات إذا كان المتر بالأمس مائة سنتيمتر فإذا به اليوم مائة وخمسة ، وإذا به بعد شهرين تسعين سنتيمترا فقط . لاشك أن هذا هو الخلل بعينه ، وما سببه إلا استعمال النقد فى غير ما خلق له وهو تسهيل المقايضة والاستبدال .

ليس هذا فحسب ، بل إن النقد كمقياس للقيمة قد تخطى كل وصف لكل مقياس ، ألا ترى مثلا أن ( المتر ) الذى تقاس به المنسوجات لا يمكن أن يكون فى حد ذاته إلا رمزا ، أعنى أنه ليس حريرا أو قطنيا أو صوفيا ، ولكنه رمز لطول معين متعارف عليه ، فإن قلت أن لدى ألف متر من الحرير فإنك تعنى طولاً معيناً ، وإذا قلت : قست الحرير بالمتر عنيت نسبة الحرير إلى هذا الرمز ، فالمتر إذن ليس الحرير ذاته . أما النقد فقد خلطنا عليه صفات السلع جميعا فهو يمثلها كلها ، فإن كان معك دينار ورقا أم ذهباً فإن معك بالفعل سلماً محددة الكمية وإن لم تكن محددة الكيف ، إذ بهذا الدينار يمكنك أن تشتري مثلاً خذاء أو متراً من الصوف أو قلم حبر الخ . وبعبارة أخرى

فإن النقد يختلف عن سائر المقاييس والمعايير بأن له صفة تمكنه من الحصول على سائر السلع والمنتجات بمحض رغبة حازه . ولست أحسب أن هناك معياراً من المعايير لديه هذه الخاصة ، فمن يملك رطلاً وزناً لا يملك رطلاً عملاً ، ومن يملك متراً طولياً لا يملك متراً حريراً . . وهكذا .

والصفة الثالثة التي نضيفها على النقد هي كونه أداة المبادلة ، وقد شرحنا هذا فيما سبق ، وأوضحنا أن هذه هي الصفة الأساسية للنقود .

أما كون النقد أداة لإبراء ذمة الدين ، فذلك أيضاً مما خلعه الله على النقد لتسهيل المعاملات بيننا ، ولا غشاضة في ذلك ، فمن يقترض منك نقداً فعليك أن ترد له دينه ، ومن أخذ منك سلعة فأنت تخير في استرداد سلعتك أو مثيلتها ، أو في تكليفه شراء هذه السلعة . ونظراً لأن المقرض يفضل الحصول على النقود ليحصل بنفسه على السلعة التي يريد ( والتي قد لا تتوفر لدى المقرض ) فإنه من الطبيعي أن يسترد قرضه في شكل نقود .

هذه هي الوظائف الأربع للـنقود كما يزعم الاقتصاديون جميعاً — غير الإسلاميين ، وأنصار المذهب الاقتصادي الطبيعي (Economic order natural) — ولننظر كيف صارت النقود وقد أعطيت هذه الصفات العجيبة (وكيلاً) يملك من الحقوق أكثر مما يملك (الموكل) وعليه من الواجبات أقل مما على الموكل .

النقود بوضعها الراهن يمكن أن تحتزن إلى ما شاء الله و شاء مالكها ، فمن ينتج نسيجاً يستطيع إذا باعه أن يضع الثمن الذي قبضه أو بعضه في خزانة حديدية تحت الأرض (أو في مصرف - بنك) سنوات طويلة وعمرًا مديدًا ، حتى إذا عاد إليه وجده كما تركه عدأً وكيفاً لم ينقص منه شيء . . هذا إذا كان صاحبنا لا يتقاضى فائدة على ماله ، فإن كان بتقاضاها فإنه سيجد أن المال قد زاد بمقدار الفائدة . ولا شك أن هذا أمر لا يسيغه المنطق الذي دللنا عليه في مستهل هذا البحث ، إذ النقد وكيل عن السلعة فحسب ، والسلعة كائنة ما كانت لا يمكن أن تبقى عشرات السنين دون أن تنقص قيمتها ، فلو أراد منتج النسيج أن يحتزن بعض فائضه لمستقبل عمره فعليه أن يستأجر مخزنًا وأن يدفع تأمينًا ضد الحريق والسرقة ، وأن يستعمل مساحيق كيماوية تقى النسيج

فعل العث والحشرات ، وأن يجرد المخزن من آن لآخر ليتأكد من سلامة المخزن فيه . ثم بعد كل هذه الاحتياطات لامشاحة في أن النسيج سيبل رويداً رويداً ، وستذهب جده وتقل رغبة الناس فيه من حيث المتانة والمظهرية ( المودة ) . وبعبارة أخرى لا يمكن اختزان سلعة كائنة ما كانت دون أن تتدهور قيمتها . والسلعة هي الموكل الأصلي ، هي أساس الحياة الاقتصادية ، هي السبب في خلق النقود ، هذه السلعة لا تستطيع أن تعيش دون أن يصيبها الوهن ، وتنسحب عليها سنة الفناء ، أما (الوكيل) الممثل لهذه السلعة فقد أكسبناه حصانة ضد عوادي الزمن وعوامل التدهور ، لابل قد انتهجنا نهجاً من شأنه أن يزداد ويربو ، فيفيد صاحبه من حيث كان اختزان السلعة المنتجة ( الموكلة ) يؤدي إلى خسارة محققة ، ونفقة ليست بالقليلة .

( يتبع )



قال ابن عباس رضي الله عنه :

« إن للحسنة نوراً في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة من الخلق .

وإن للسيئة لغمراً في الوجه ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضا من الخلق » .

# انفع تجارب الدعاة

بإشراف الأستاذ عبد البديع صقر

- [ نفتتح هذا الباب - على بركة الله - نعرض فيه من الوقائع الطريفة التي صادفها الدعاة إلى الله ، ما يُعين المبتدئين ، ويكون تذكرة للعاملين .
- ونحن ندعو الإخوة القراء إلى المشاركة في تحرير هذا الباب الذي تتمهده لجنة من قدامى الدعاة بإشراف الأستاذ عبد البديع صقر .
- و نرجو كل من يرسل كلمته للمجلة أن يراعى الملاحظات الآتية :
- ١ - أن تكون مختصرة بقدر الإمكان .
  - ٢ - أن تسند الوقائع إلى أشخاصها وأماكنها الحقيقية ، ويذكر تاريخها إن أمكن .
  - ٣ - أن يكتب المرسل اسمه وعنوانه ؛ وإذا رغب في ألا تنشر الأسماء يجب إلى طلبه .
- وكل من تنشر تجربته في الباب تقدم له إدارة المجلة أعداد نصف سنة هدية من « المسلمون » .
- « التحرير »

## سل عن الرفيق قبل الطريق

كان ذلك في سنة ١٣٦٨ هـ ( ١٩٤٨ م )

فقد ركبنا القطار من الزقازيق . . وزأيتُ إلى جانبي « أفنديا » توسمتُ في وجهه الصلاح . . فرأيتُ أن أقطع الوقت بمحديث نافع معه . . وأى حد يستبد بفكر الداعية إلا أن يمرض دعوته ويوجه النظر إليها ويثير الاهتمام بها !! فبدأتُ بسؤاله عن الصحة والأحوال حتى أنستُ إليه ووجدتُ فيه حيوية وتذمراً من الواقع الأليم في المجتمع . قلت له : لابد من التكاتف وضم الجهود . قال : « على أي أساس » قلت : على أساس الفكرة الإسلامية . . فأصغى إليَّ إصغاءً حسناً .

واستطردتُ أحده في غير توقف ، وشرحتُ له كيف تكمل الاستمرار علينا ، وعمل

على نشر التبشير في كل مكان . . وكيف أن التبشير عندهم ليس صادراً عن ورع ولا عن عقيدة دينية ، بل هو عمل سيامي ما كر . .

ألا ترى كيت وكيت من أفعالهم في مصر ؟ . . ألا ترى جنوب السودان ؟ ... وانتقلت من ذلك إلى تنظيم جماعتنا التي ندعو إلى الله ، وكيف أنني توسمت فيه أن يضع يده في يدي لتتماهد على نصرته الإسلام باعتباره المنهاج الأمل للحياة ، ونظاماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً لا نظير له . .

ثم إن القطار وقف على محطة أبي كبير فأخذت حقائبي وقلت له : أعطني اسمك يا أخى إذن . فقال في هدوء : « إبراهيم غبريال » . « عبد البديع صقر »

### الوعاظ المتسولون

من الصعوبات التي يواجهها الدعاة في القرى مسارعة المصلين إلى الخروج من المسجد حالما تنتهى الصلاة ، وخاصة إذا سمعوا خطيباً يشرع في إلقاء كلمة ... ولعل السر في هذا ما اعتاده بعض المتسولين من محترق الوعظ والخطابة من سؤال الناس في هذه المواقف ...

وقد لاحظت هذه الظاهرة فتنهت لها ، ولكن هذه التجربة علمتني ألا بدّ من الاحتياط بغير ما يتبادر إلى الذهن من وسائل في بعض الحالات :

كنت في زيارة صديق في قرية ( الخضر ) من قرى القدس ... ثم توجهت معه إلى مسجد القرية وقد جمعت تلك المسألة في حسابي ، فرأيت أن أبتكر وسيلة أستبق بها المصلين ربنا أبلغهم دعوتي ، فاستفتحت بعد الصلاة قائلاً : « أيها الناس ، أيها المصلون الكرام ... ما جئنا نسالكم مالاً ، ولا نطلب منكم شيئاً من عرض الدنيا .. إن أجرنا إلا على الله ربنا . . . ما جئنا إلا لنبلغكم دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . » ومضيت في كلامي . . .

وبالرغم من تلك المقدمة ، رأيت بعض المصلين يتسللون سراعاً منصرفين ، ووقف بعضهم متردداً بين التلبّث والخروج . . . إلا أن واحداً منهم قطع ترده فتقدم نحوى فالتمس يدي وفي كفه قطعة صغيرة من النقود ! . .

وعجبت لهذا التصرف ، ورددت بلطف قطعة النقود على صاحبها ، وأتممت حديثي للناس .



وفيا أنا عائد مع صاحبي أفضى إلى وهو يتسم بما ضاعف دهشتي ؛ فقد قال :  
 الغريب أن كثيراً ممن يأتينا من الوعاظ المتسولين يستهلون كلامهم بمثل ما قلت آنفاً ! .  
 « سالم على سالم »

### لا بد للإخلاص من فطنة

منذ عامين تقريباً ذهبت إلى قرية من أعمال مديرية الغربية في مصر لتكوين  
 شعبة للدعوة هناك . وتوجهنا للمسجد الجامع . . وقبيل الخطبة وقف شاب وسيم  
 — عرفت فيما بعد أنه ابن العمدة ونائبه — فطلب من الناس الاشتراك في جمعية  
 التعاون الزراعي ، وجعل يشرح لهم فوائدها من حيث أنها تباع المحاصيل بأسعار أفضل ،  
 وتعد الفلاح بالبذور والسماد وتمطى سلفاً للحتاجين ، ثم هي تساهم في إصلاح الطرق  
 وبناء القناطر . . . إلى غير ذلك . .

وساءنى أن يتخذ الرجل من بيت الله مكاناً للإعلان عن جمعية كل أغراضها  
 دنيوية هكذا . فصبرت على مضض حتى انتهت الصلاة وقت منفلاً فملقت على  
 حديث الشاب قائلاً « لا ينبغي أن يتخذ المسجد مكاناً للإعلان عن هذه المسائل إنما  
 بنيت المساجد لعبادة الله تعالى » .

وبدأت أعرض فكرة الدعوة الإسلامية التي أعمل لها فقلت للناس « نحن جماعة  
 ربانية . . نحن ندعو إلى تربية جيل فاضل يتحلى بالخلق الإسلامى القويم . . وأول  
 الطريق معرفة حقائق الإسلام التي شوهتها أكاذيب التاريخ وجور الحكام ، وانتقلت  
 من ذلك إلى القول بأن الجماعة إذا استقام أمرها واشتد عودها فستقوم بكل ضروب  
 الإصلاح الاجتماعى بالبلدة . . فتبنى القناطر المهدومة وتبني الطرق المظلمة .

وهنا وقف الشاب « نائب العمدة » وقال : « ألا قل لى يا سيدنا الأفندى . . .  
 إنك لم تجز كلامي في الجامع ولكنك مع ذلك تقول نفس الكلام وهو تصليح  
 الطرق وبناء القناطر . . . هل يحرم الدين علينا حاجات وبحللها لكم ؟ » .  
 ولم يترك لى فرصة للرد ، بل قال للمصلين أن قوموا ودعوا الكلام الفارغ . .  
 فقاموا جميعاً وتركوا قائماً في المسجد . .

قال لى الأخ المرافق : « لا بد لإخلاص الداعية من فطنة تحميه » .

# اصحاب الغار

للاستاذ على أحمد باكثير

( ١ )

[ رعد قاصف ومطر ]

يوسف : هلم يا هارون دعنا نسرع السير .

هارون : لكن متى متخلف عنا .

يوسف : إن متى لا يريد أن يلحق بنا .. إنه يعتمد البطء في السير .

هارون : ما يكون لنا أن نترك رفيقنا يا يوسف : [ ينادى ] متى ! متى !

متى : [ صوته من بعيد ] هارون !

هارون : ماذا تصنع هناك ؟ . أسرع والحق بنا !

متى : انتظرا قليلا !

يوسف : ننتظر ! أنتظر حتى يدركنا السيل وننحن في هذا الوادي فهلك ؟

هارون : ها هو ذا قد أقبل إلينا ...

متى : من رأيي يا صاحبي أن نقف هنا عن السير .

يوسف : لكي يطوبنا السيل إذا جاء ؟ أتريد أن تهلكنا يا رجل ؟

متى : بل أنت الذي تريد أن تهلكنا برأيتك السقيم . ليس في وسعنا أن نسبق

السيل إذا أقبل ، ولكن في وسعنا أن نتقيه .

يوسف : وكيف نتقيه ؟

متى : نلجأ إلى ذلك الغار في سفح الجبل .

[ يُسمع هدير السيل من بعيد ]

هارون : وئى ! اسمع .. هذا السيل قد أقبل ! هذا هديره !

متى : هيا بنا . أسرع !

يوسف : لكن . لكن هذه الصخرة المتقلقة على فم النار

متى : ما بالها ؟

يوسف : ألا تخشيان أن تقع فتطبق علينا فيه ؟ !

متى : هذه الصخرة ظلت واقفة هكذا منذ دهور .. أفلا تسقط إلا يومنا هذا ؟

يوسف : من يدري ؟

متى : أوه . إذن نموت جميعاً ونستريح من صحبتك !

هارون : رويدك .. لا وقت عندنا للملاحاة .. إلى النار وليفعل الله ما يشاء .

( ٢ )

( داخل النار )

متى : انظر يا يوسف . . لو لم ندخل هذا النار لجرفنا هذا السيل الهائل .

يوسف : وإذا انطبقت هذه الصخرة علينا ؟

متى : [ يقهقه ساخراً ] حينئذ أعترف بصواب رأيك !

هارون : ويلك .. أليس خيراً من هذه المجادلة أن نذكر الله سبحانه وتعالى

وندعوه أن يحسن عاقبتنا ؟

[ تسمع قرعاً ]

هارون : وئى ! ما هذا ؟

يوسف : هذه الصخرة تتحرك !

متى : فاللهم ولا فالك !

يوسف : ها هي ذى انطبقت !

هارون : لا حول ولا قوة إلا بالله !

يوسف : ألم أقل لك أنها غير ثابتة وتوشك أن تقع ؟ دبر لنا الآن خرجاً يا متى !

متى : لو بقينا في بطن الوادى لكان هلاكنا محققا !

يوسف : وهلاكنا الآن غير محقق ؟!

\*\*\*

هارون : كفى مرأ ومجادلة ! ما أظن هذا الذى أصابنا إلا عقوبة لكما من الله على هذا الجدل واللد.

يوسف : لا حق لك يا هارون أن توجه اللوم إلى . غيرى هو اللوم

هارون : بالله عليك يا يوسف دعنا من هذا الآن . ما ذا تصنع هناك يا متى ؟

يوسف : إنه يحاول أن يزحزح الصخرة !

متى : لا تسخر منى يا يوسف .

يوسف : أنا لا أسخر ولكن هذه قطعة جبل لا يقدر أن يزحزها ولا مائة رجل .

هارون : تعال يا متى اجلس قريباً منى . إننا لا نحالة هالكون إلا أن يتداركنا

الله بلطفه . اقرب منى أنت أيضاً يا يوسف . . هات يدك

يوسف : هاك يدي .

هارون : تصافيا أولاً وتساحا ، فإن الله لن ينظر إلينا وبيننا هذه القطيعة .

يوسف : ساعنى يا متى .

متى : ساعتك . وأنت ساعنى يا يوسف .

يوسف : ساعتك .

هارون : والآن اصغيا إلى . لقد سمعت من بعض علمائنا العارفين أن أحسن ما يدعو

به المرء ربه أن يتوسل إليه بصالح أعماله ؛ فليذكر كل واحد منا أصلح

عمل عمله في حياته فليدعُ الله به .

متى : ابدأ أنت يا هارون .

يوسف : أجل . . أنت أصلحنا نحن الثلاثة .

هارون : الله وحده هو الذى يعلم أينما الأصلح ، وإنى لكثير الذنوب جم الخطايا

وما أعرف لى من عمل صالح اللهم ما كان من برى بوالدى الكبيرين .

متى : فاذا ذكر ذلك فبر الوالدين من أفضل الأعمال  
 هارون : كان من عادتي إذا رجعت من المرعى أن أحلب فأسقى أبويّ الكبيرين  
 أولاً قبل زوجي وأولادي وقبل أي واحد في الدار . وذات يوم تأخرت  
 في المرعى ولم أعد إلى أهلي إلا بعد ما أمسى المساء

\*\*\*

الزوجة : ما ذا أخرك يا هارون اليوم ؟  
 هارون : نأى بي الشجرُ يا حنة فأبعدت . أين أبي وأمي ؟  
 الزوجة : انتظرك طويلاً حتى غلبهما النوم فناما .  
 هارون : ويحهما . . ناما قبل أن يتمشيا .  
 الزوجة : هات هذا الذي حلبته لأسقيه للأولاد فإنهم يتضاغون جوعاً .  
 هارون : كلا يا حنة . . لن أسقى قبلهما أحداً .  
 الزوجة : اسق هذا لأولادك ثم أحلب لأبويك حين يستيقظان .  
 هارون : كلا لن أدخل بمادتي معهما أبداً .  
 الزوجة : إذن فأيقظهما واسقهما ثم احلب لأولادك .  
 هارون : لا ينبغي أن أزعجهما من نومهما الساعة .  
 الزوجة : فإذا أنت صانع ؟  
 هارون : سأبقى هنا واقفا حتى يستقيظا فأقدم لهما اللبن .  
 الزوجة : ويحك ما هذا الذي تصنع ؟ لم تلصق الصحيفة هكذا يبطنك ؟  
 هارون : ليبقى اللبن دفيئاً يا حنة . اذهبي أنت إلى الأولاد .  
 الزوجة : ماذا أصنع لهم ؟  
 هارون : עליهم حتى يناموا .

\*\*\*

متى : ومتى استيقظ أبواك ؟  
 هارون : حينما برق الفجر .  
 يوسف : وبقيت طول الليل واقفا بصحفة الحلاب ؟

- هارون : نعم وأنا أضّمها إلى بطني من تحت الثياب .
- متى : طوبى لك يا هارون . . ما سئمنا بولد بر والديه كهذا قط .
- هارون : [ يدعو مبتهلا ] اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه !
- متى : انظر يا هارون ! الصخرة انفرجت !
- يوسف : أجل . . هذا الوادى قد ظهر !
- هارون : اللهم لك الحمد !
- متى : وى . لكننا لا نستطيع الخروج بعد .
- هارون : فاذا كرا أنتما الآن أرجى عمل عملناه .
- متى : ابدأ أنت يا يوسف .
- يوسف : بل تبدأ أنت . أنت أفضل منى .
- متى : كلا بل أنت أفضل .
- هارون : لا بأس . . ابدأ أنت يا يوسف .
- يوسف : ماذا أقول ؟
- هارون : اذكر ما تعرف . . لا تحقر شيئا من العمل فإن الله لا يحقر شيئا .
- يوسف : فى بالى شيء ولكنى أستحي أن أذكره .
- هارون : ويحك إن العمل الصالح لا يستحي من ذكره .
- يوسف : إنه يمس عرض قريبة لى .
- هارون : نعاهدك ألا نفشى هذا السر لأحد .
- يوسف : كانت لى ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء وكنت فقيرا فزوّجها أهلها لغيرى فظل حبها ناميا فى قلبى . وسميت فى طلب الرزق حتى أصبحت غنيا فوسوس لى الشيطان أن أغريها بالمال فاستعصمت منى ، إلى أن ألت بها سنة من السنين فجاءت نطلب عونى .



- يوسف : مرحبا بك يا أليشبع ! لعلك رضيت اليوم عن ابن عمك المدله بمحبك !
- هى : هات يا يوسف الستين دينارا التى وعدتني بها .
- هو : وتجودين على بوصلك ؟
- هى : إذا أردت .
- هو : خذى إذن عشرين ومائة دينار وإن شئت يا حبيبتي زدتك .
- هى : لا يا ابن عمي . . . هذا يكفي وزيادة .
- هو : هالك يا منية النفس !
- هى : جزيت خيرا يا يوسف . . ستحي بمعروفك هذا زوجي وأولادي !
- هو : لا تذكري زوجك الآن !
- هى : ويحك يا يوسف . أتناور أنت من زوجي وزوجي لا يغار منك ؟
- هو : ماذا تقولين ؟
- هى : لقد استأذنته فأذن لي !
- هو : أذن لك !
- هى : والدمع في عينيه خشية أن يموت أطفاله جوعا .
- هو : إذن فقد جعلنا في حل منه ، فهلمى يا حبيبة القلب نستمتع !
- هى : [ يطفئ من عينها الدمع ] أنا طوع أمرك !
- هو : لكنك تبكين . . . ما خطبك ؟
- هى : إني أخاف الله رب العالمين !
- هو : يا ويلي من كافر بنعمة الله . تخافينه أنت في الشدة ولا أخافه أنا في الرخاء . والله لا تمس يدي ثوبك أبدا !
- هى : والبال يا يوسف . . . خذه إذن .
- هو : كلا يا أليشبع . قد وهبتك إياه لوجه الله . ارجعى به إلى أولادك .
- هى : لكن زوجي سيظن أنك . . .
- هو : مالى ولزوجك ؟ إني لا أخافه ، بل أخاف الله رب العالمين .

متى : وانصرفت بالمال من عندك ؟

يوسف : نعم وإن قلبي ليزوب إليها شوقاً [ يدعو مبتهلاً ] اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه !

متى : [ هاتفا ] الصخرة تترجح !

هارون : اللهم لك الحمد !

متى : هاهي ذى السماء ! أستطيع أن أرى السماء !

يوسف : الحمد لله .

متى : لكن واحسرتاه . . . الخروج متعذر بعد .

هارون : هات أنت يامتى الآن .

متى : ما عندي غير عمل واحد مرجو عند الله وكنت أحب أن أحفظه سرا بيني وبين ربى .

يوسف : اذكره يامتى وتوسل إلى الله به .

متى : كانت لى مزرعة فيما مضى فاستأجرت ذات يوم أجراء ليعملوا فى أرضى ،

فلما انقضى النهار أعطيتهم أجورهم ما خلا واحداً اسمه سليمان أبى

أن يأخذ أجره مستقلاً إياه . وأردت أن أزيده فأعرض عني ومضى .

فوقع فى قلبي من ذلك هم عظيم . وبحثت عنه فى كل مكان فلم أعر له

على أثر ، فبدأ لى أن أتمر له أجره هذا ؛ فإذا الله يبارك فيه حتى نما وتكاثر .

وجاءت جائحة فأنت على مالى فلم يبق فى يدي غير مال سليمان هذا فصارت

زوجتى تحرصنى على الأخذ منه .

\*\*\*

هو : كلا ياتامار . . . إنه مال ذلك الأجير .

هى : أنت الذى ثمرته ونميته .

هو : لكن الأصل حقه هو وقد بارك الله له فيه . ولو كنت خلطته بمالى

لأنت عليه الجائحة فيما أنت .

هو : خذ من هذه الأنعام ولو شاة واحدة تذبجها لنا في العيد لتوسع بها على العيال .

هو : كلا والله لا أمس منها شيئاً حتى يجيء صاحبها .

هو : ومتى يجيء صاحبها ؟ لعله قد مات .

هو : إن يكن قد مات فلعلى أهتدى يوماً إلى ورثته فأسلمها لهم .

\*\*\*

يوسف : وهل جاء صاحبها يا متى ؟

متى : نعم جاء سليمان بعد خمس سنين .

\*\*\*

سليمان : متى ! متى ! ألا تعرفني ؟

متى : من ؟ سليمان !

سليمان : أجل .. أنا سليمان .

متى : أين كنت يا أخى ؟ لظالماً بحثت عنك .

سليمان : لتستأجرني مرة أخرى فتظلمني حقى ؟

متى : بل لأعطيك حقك .. والله لقد بحثت عنك في كل مكان .

سليمان : لتعطيني صاع الأرز الذى تركته لك ؟ اعلم يا متى أن الله قد أغنانى اليوم

عن ذلك الصاع !

متى : تعال انظر ! أترى هذه الأنعام ورعاءها ؟

سليمان : أجل .. قد أثريت يا متى بعد !

متى : كلا .. هذه ليست لى يا سليمان .. هذه كلها لك أنت قد ثمرتها من صاع

الأرز الذى رفضته !

سليمان : ماذا تقول ؟

متى : ظلت أمانة عندى فخذها اليوم وأرحنى من حفظ أمانتك .

سليمان : لا تستهزئ بى يا متى فلست اليوم فقيراً فأحتمل سخريتك .

متى : إني والله لا أستهزئ بك .

سليمان : أحقاً ؟

متى : إني والله الذي لا إله إلا هو إنها لملك .

سليمان : ما أعظم أمانتك . سأترك لك نصفها يا متى .

متى : لا وجزاك الله خيراً .

سليمان : ربما تحتاج إليها .

متى : ويحك يا سليمان أتراني كنت أحفظها لك لو لم يفنني الله عنها ؟

\*\*\*

يوسف : وأستاق الأنعام كلها ؟

متى : نعم ، وغاضبتني زوجي شهراً لا تكلمني من أجل أني رفضت ما عرض

سليمان عليّ . وقلت لها إن الله هو الواهب الرزاق .

هارون : طوبى لك يا متى . هذا والله أعظم من عملي وعمل يوسف ، فادع الله به أن

يفرج عنا ما نحن فيه .

متى : اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه .

يوسف : انظروا ! الصخرة تتقلقل من مكانها ! يا الله ! إنها تدرجت !

[ يُسمع تدرج الصخرة إلى أسفل ] .

هارون : اللهم لك الحمد !

متى : الحمد لله رب العالمين !

« ستار »

ما كل ذي حاجة بمدركها كم من يدٍ لا تنال ما طلبت  
من لم يسه الكفاف معتدلاً ضاقت عليه الدنيا بما رجبت  
« أبو العتاهية »

# حول السياسات الاقتصادية

للأستاذ عيسى عبده إبراهيم

أستاذ إدارة الأعمال بكلية التجارة بجامعة إبراهيم

( ٥ )

## دروس الأموال

أشرنا إلى أن الثروة هي الأموال كما قال الأولون ، وهي الطيبات التي تشبع الحاجات كما يقول المحدثون .

وتمتاز كل طيبة بعدد من الخصائص التي تؤهلها لإشباع الحاجات . والإشباع هو سد النقص الذي يشعر به الإنسان ككائن حي ، أو هو تخليص النفس البشرية مما يلم بها من الضغط نتيجة للشعور بالحاج الحاجات الطبيعية .

ويتراوح تصرف الفرد في معاملته لا بين يديه من الطيبات بين حدين : أحدهما الإسراف في الصوم عن المتاع ، وهذا هو الشح ، والحد الآخر هو الإسراف في استهلاك الطيبات إلى حد السفه ، ومن هنا يضطرب الميزان المالى ويفرق المسرف في الديون وتستلذه حاجته إلى ما عند غيره من المدخرات . وقد رسمت لنا الشريعة السمحاء خطة واضحة حين وصفت المؤمنين الصادقين بأنهم قوم لا يسرفون ولا يقترون .

فأما النفقة الجارية للمعيش باعتدال فهي مادة النشاط الاقتصادي المستمر ، ومنها تتألف الأرزاق أو ما يسمى الآن بالدخل الأهل وهو جملة إيرادات الأفراد ، وإن شئنا الدقة قلنا إيرادات الأسر ، باعتبار أن الأسرة هي الوحدة المعاشية في المجتمع الصالح . وأما المدخرات فهي ما يعفيه من الاستهلاك ، أى ما ندعه جانبا من الطيبات لننتفع به آجلا ، أو لننتفع به غيرنا من بعدنا . وهذا هو رأس المال .

إذن رأس المال هو الطيبات المدخرة .

وينبغي لنا أن نفرق بين رأس المال المستغرق في غرض بعينه أو المجمع في سبيل بعينها ، وبين رأس المال الحر الطليق .

فأما القسم الأول ( أى المجمع ) فيتمثل في جملة ما ادخرته جماعة أو أمة من الطيبات التي أنتجتها وخصصتها لإشباع الحاجات غير العاجلة ، أو لإنتاج طيبات أخرى . فالمرافق العامة كالطرق والكبارى والموانى والمدن من رءوس الأموال المجددة في سبيل تيسير العيش ورفع مستوى الرفاهة . والمصانع والأراضي المستصلحة من رءوس الأموال المخصصة لإنتاج طيبات أخرى تساهم بدورها في رفع مستوى الرفاهة .

وأما القسم الثانى فيتمثل في القوة الشرائية الطليقة من قيود النوعية ، أى الطيبات التي تُقبل في التداول في كثير من اليسر كالبائوك الذهبية وما في حكمها من الأوراق المالية ونحوها .

وقد ينصرف الذهن إلى القسم الثانى دون الأول إذا أردنا المعنى الضيق لعبارة « رأس المال » على أن المعنى الأعم يشمل كليهما . فنقول مثلاً إن رأس المال الأهلى لمصر هو نحو ثلاثة آلاف مليون جنيه . ورأس المال الأهلى لإنجلترا هو خمسون ألف مليون جنيه . وقد يقال أيضاً « الثروة القومية » بدلا من رأس المال القوى أو الأهلى .

ومن الباحثين من يُدخل المقدرة البشرية للشعب في حساب الثروة القومية .

والذى يعنينا من هذا المرض هو التنبيه إلى أن رءوس الأموال ليست في الأصل تلك الأوراق النقدية أو حسابات الإيداع في المصارف .

وهذه القضية الثانية التي نريد توجيه النظر إليها في عصرنا هذا . فقد تفشت بيننا فكرة سقيمة عن رأس المال ، وألحت على الكثرة الغالبة منا فقبلها ببساطة ، وإطمان إليها حتى إنه لا يكاد يجرؤ على تحرير ذهنه منها . وآية ذلك أننا إذا تكلمنا عن رءوس الأموال تراحمنا أمامنا صور المصارف في الحل الأول والأخير . ويتربت على ذلك أننا



نؤمن الآمن ونعلم أبناءنا أن رءوس الأموال قد تركزت في وجود البنك الأهلي ،  
والسكريدى ليونيه ، والبنك العثماني وما إليها من منشآت الاستثمار .  
ويترتب على ذلك أيضاً أننا قد أصبحنا نؤمن بأن الاقتصاد الأهلي ، أى جملة  
النشاط في سبيل إنتاج الثروة وتوزيعها قد أصبحت تركّز على وجود هذه  
المنشآت العاتية .

فلا سلامة إذن ولا رجاء إلا إذا اتخذنا من هذه المنشآت قبلة نتجه إليها . فلاعفا  
الله عن أشاع هذا الفساد .

ولبيان خطورة هذا الرأي الفاسد ، ينبغي لنا أن نتأمل في طبيعة « رأس المال » ،  
فما هو في الواقع إلا إنتاج التفاعل بين العمل وموارد الطبيعة . فإذا قامت جماعة من الناس بغرس  
الشجر وتمهده حتى صار غابة للأخشاب مثلاً ، فإن هذه الجماعة تكون قد بذلت جهداً  
وحيلة ، أو سخرت قوة عضلية وتكررة تستند إلى شيء من التجربة والمعرفة ،  
لاستغلال قوة الأرض على النباتات ، إذا توافرت لها حرارة الشمس والتربة الصالحة .  
وإذا اتجهت جماعة أخرى إلى تكديس بعض الأحجار على بعض حتى بنت هرمًا فقد  
أوجدت ثروة . وهي ثروة ممثلة كالحلى وأدوات الزينة ، إلا أن تكون واسطة لجلب  
رزق جديد ، كأن يقصد الناس إلى هذا الهرم للزيارة مثلاً ؛ فإن الهرم ينقلب إلى ثروة  
مستغلة أو رأس مال .

ويصدق هذا القول على كل طيبة تتضافر في إيجادها قوة البشر وحيلته مع موارد  
الطبيعة ، كإنتاج قوة مضاعفة من انحدار الشلال أو من هبوب الرياح . أو بإيجاد  
آلة تولد من الجهد أضعاف ما يطيقه البشر .

وفي كل ما ضربنا من الأمثال ، تتواجد الثروة كما يتواجد رأس المال ، بتضافر  
العمل مع موارد الطبيعة ، ثم الامتناع عن الاستمتاع السريع ، وإلا كان الناتج من  
عروض الاستهلاك ، كأن ننتج القمح ثم نأكله في موسمه .

إذن ليست الثروة الباقية ، ورءوس الأموال العاملة المنتجة ، وفقاً على النقود التي  
يتحكم فيها الجهاز الاستثماري ويتخذها وسيلة لإذلالنا .

وهنا ينبغي لنا أن ننظر في خبث الاستثمار الغربي الذي يتخذ من القروض وسيلة  
لإدخال نفوذه في أرض لم تكن له من قبل ، ثم يشغل كاهل المقترض بالأصل والفائدة

ثم يضع يده على الصيرفة وأدواتها ، وقد يصل إلى احتكار النظام النقدي كله .

فلم يكن إذن إنشاء البنك الأهلي في سنة ١٨٩٨ في أعقاب الاحتلال عملاً مجيداً من أعمال الاحتلال ، بل كان حلقة من السلسلة التي أراد بها المستعمر تطبيق البلاد ، حتى تقع في قبضته ، وإنك إذا نظرت إلى أفريقيا كلها لوجدت أنظمة العملة في كل بلد مرتبطة بأسواق رأس المال الغربية ، على نحو لا يترك للأهلين إلا ما يقيم الأود ، أو يبقى الشعوب ناهضة بأنفاسها كما تنهض الدواب بحمل الأثقال . هذا إذا تأدبت ، أما إذا كرهت الاحتلال فإن هذه القيود الخفيفة لا تجدى ، وبالتالي يلجأ الاستثمار إلى الطرق الملائمة كإبادة الأجناس مثلاً .

يخلص مما تقدم أن رؤوس الأموال هي الطييات المخصصة بإنتاج المزيد من الثروة . ولم تكن رؤوس الأموال ( ولن تكون ) تلك الأحجار أو المعادن أو الأوراق التي يتحكم فيها الغرب في معظم البلاد الإسلامية ، وهي النقود . .

ومع ذلك فالنقود أقدم من الاستثمار ، بل هي من أقدم مظاهر المدنية التي تركت للمؤرخين أثراً على وجه الأرض من نحو ستة آلاف سنة . فكيف استطاع الاستثمار الذي يزرع تحتة العرب والمسلمون جميعاً ، والذي لا يبلغ قرنين من الزمان أن يشيع هذه الفكرة الخاطئة التي تؤمن بها الكثرة الغالبة منا ، وهي مقدرة الغرب على تيسير الأمور إذا هيمن بأدواته على الصيرفة . . . !

هذا الذي تؤمن به الآن من آثار الاستثمار العلمى والتحلل الخلقى الذى انتهينا إليه . ومن أجل ذلك ننبه بكل قوة إلى أن رؤوس الأموال ليست مما يجود به الغرب علينا بما ابتدع من الانصاف والأزلام . بل هي الطييات التي خلقها الله سبحانه ، ودعانا إلى علاجها بقدر ما نستطيع ، فإذا بها قوة هائلة تضاعف من خططنا في هذه الحياة . وتضاعف من مقدرتنا على دفع المدوان عن أرض دخل أهلها في دين الله .

لقد كان الربا في أول أمره نوعاً من الزيادة نظير الأجل ، وكان المقرض يقول للمدين أقضى أم تربى ؟ وكان الدائن يقول أيضاً زدنا زدك ، أى زدنا من ربا القرض زدك من المهلة أو الأجل ، وكانت الزيادة عيناً هي الأعم الأغلب . ولكن الصيرفة التي بدأت في القرون الوسطى على أيدي اليهود من الصاغة قد تطورت حتى صارت ما نراه الآن من منشآت نستودعها فائض الدخل ، لتتجر فيه ، ولتستند إليه في خلق

نقود الائتمان . فتركزت المعاملات الربوية بحكم هذا التطور في أعمال المصارف التي أسسها اليهود ، والتي أنكرتها الكنيسة وحاربها ، ولم تهانها أبداً ، حتى رأت نجاحها في الزحف البطيء الخبيث على الدولة العثمانية فسكت الكنيسة ، ولا نقول بأنها أقوت الصيرفة بنظامها الربوي .

وأصبحنا في زمننا هذا وقد تعلقت آمالنا بيدوت الصيرفة للحصول على رؤوس الأموال كلها أعوزتنا ؛ حتى الحكومات تذلل أعناقها من الحاجة إلى ما يسمى في عرف هذا العصر برؤوس الأموال .

وقد يبدو لغير المتخصص أن في هذا التصوير نوعاً من المبالغة . والحق أن فيه شيئاً لما نعيش فيه من احتلال مالي خطير . ويكفي أن ننبه إلى أن المصارف التجارية ، ومعظمها أجنبي وسياستها العامة تخضع خضوعاً تاماً لأهواء الغرب ، تستطيع أن تخلق من نقود الائتمان ما قد يبلغ عشرة أمثال المودعات . فمثلاً إذا بلغت مدخرات الشعب عندنا ثلاثين مليوناً من الجنيهات ، فإن هذه المصارف الأجنبية تستطيع أن تخلق ثلثمائة مليون جنيه من نقود الائتمان التي يجرى التعامل بها في الأغلب الأعم بالشيكاكات والقيود والحسابات . وكل ذلك بغير رقيب أو حسيب ولكن لصالح من تسخر هذه الملايين ؟ هل هي تسخر لصالح الشباب الذي يستكمل عدته من الدراسة ويتلمس القليل من رأس المال ليستعين به على تأسيس عمل أو الضرب في الأرض باحثاً عن خيراتها أو متجراً في بعض أرواقها . . . ؟ الجواب يدهسى ، وإلا فقيم كل هذا البناء من جانب الغرب الذي لا ينزل أرضاً للمسلمين إلا ويحتكر فيها الصيرفة ويمسك في قبضته بمفاتيح رؤوس الأموال .

وإذا أردنا أن نعتبر بما مر بنا من تجربة ، فأول خطوة في سبيل التحرر الاقتصادي واتباع سياسة مالية تحرص على مصالح الناس وتحفظ عليهم أرواقهم وتعينهم على أن يشتكروا من الخير بالسمي والجد ، أن تسكون رؤوس الأموال في تواجدها وتوجيهها واستغلالها في أيدي أبناء البلاد ، وألا يكون لأعداء الإسلام والمسلمين أية هيمنة أو سلطة على أجهزة الائتمان كما هي الحال الآن . ولكن ماهي رؤوس الأموال الأجنبية التي وفدت على بلاد المسلمين وباضت فيها وأفرخت ، ما قصتها وكيف الخلاص منها ، بل كيف نستزيد منها في كل يوم ؟ . هذا ما نحب عليه في كلمة تالية إن شاء الله .

# صُومُوا تَصِحُّوا

للواء الدكتور أحمد النافه

خلق الله الإنسان فعقل بدنه، وأنشأ عقله، وسوى نفسه، ثم نفخ فيه من روحه، واستخلفه في الأرض . وشاءت حكمة الله أن يبلغ أشده ، وتنضج غرائزه عند العشرين، ويكمل العقل عند الأربعين، وأن تتعلق النفس بالتقوى فتهتدى أو تميل مع الهوى فتزل ، وأن تزكو الروح بالإيمان فتسعد ، أو يضلها الشيطان فتشقى .

ويصح البدن بالغذاء السليم ، والعقل بالفكر والتعليم ، والنفس بالحرية والإيثار ، والروح بالذكر والإيمان . ومن المؤمنين الصالحين ينشأ المجتمع الصالح الذى يحيا الحياة الكريمة الفاضلة كما حدث فى بعض عصور التاريخ وفى ربيع الإسلام استجابة لدعوة الرسل والأنبياء والمصلحين .

وقد استطاع الإنسان أن يئلب أعداء بدنه فأمن الطبيعة والسباع والحوام والحشرات والجراثيم . ثم اهتدى عقله إلى الذرة فزال أمنه وزاد خوفه . ولكنه لم يستطع بعد أن يئلب هوى نفسه ولا زين قلبه نحو الآثرة والشرك وما بينهما من الشرور والآثام ؛ فضاع الرخاء وطار السلام .

ومن فضل الصوم أنه يطب لسوء الغذاء فينبقى الأخلاط الصارة ، ويشفى أمراض الامتلاء ، ويجلو صدأ الذهن فيكون أقدر على الإدراك والفهم ، وينهى النفس عن الهوى وشهوة الفرج ، ويطهر الروح من حب المال والولد والمنافع . فهو إذن تدعيم وحشد شامل للقوى الجسدية والعقلية والنفسية والروحية ، يستعين بها الإنسان على معاشه ، والمجتمع على رخائه ، والعالم على سلامه .

ولا معنى لسلامة الإنسان إذا لم يسلم المجتمع ، ولا خير فى أعضاء قوية لا يربطها جسد سليم ، ولا غناء فى لبنات صلبة لا تتساند فى بناء متين ؛ وليس كفضائل النفس والروح شيء يوثق العرى ، ويشد القواعد ، ويصد غوائل الهدم والانحلال

« إنما المؤمنون إخوة » ، « إن هذه أمتكم أمة واحدة » حمايتها فرض على كل مسلم « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

والذين يدعون إلى العزلة إنما يؤثرون السلامة ، ويفرون من مشقة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد اجتمعت على المسلمين غوائل شتى من عند أنفسهم كأمراض الأبدان ، وهوى النفوس ، وضعف الإيمان . وأخرى من قبل أعدائهم كالللال الحرام ، والعلم الضار ، وعصا الطغيان ومكر الشيطان . وفي شهر الصوم يطيب للمسلمين أن يخلوا للذكر وتلاوة القرآن ، والتفكير في سوء الحال ووسائل الإصلاح بإيقاظ الغافلين ، وإحباط كيد المفسدين ، وشد أزر المجاهدين الصابرين ، ودفع بني المعتدين الظالمين .

ومتى انتصر المرء على أشد الفرائز التي تمسك الحياة كشهوة البطن وشهوة الفرج زاده الله صحة للبدن ، وصفاء للذهن ، وتهذيباً للنفس ، ورفعة للروح ؛ فيزداد الجسد قوة ونسلاً ، والمقل تدبيراً وفكراً ، والنفس إثارة وبراً ، والروح إيماناً واطمئناناً .

والنهم والدمم يفسد الصحة ، ويعرض الجسم لأمراض شتى : كتصلب الشرايين ، وارتفاع ضغط الدم ، وداء السكر والبدانة والنقرس ، وداء الكبد والقلب ، وضعف الأعصاب . والصوم الحسن الذي يكف صاحبه عن الطعام الغليظ الكثير يشفي من هذه الأمراض وكثير غيرها ؛ وصدق الله ورسوله « وكأوا واشربوا ولا تسرفوا » ، « ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » .

والشطط في الجماع يضعف الجسد ، ويطفىء نور الذهن ، ويشغل الإنسان عن السعى في الرزق وعن الفكر والذكر . وبذل المهمة والجهد فيما ينفع الناس خير وأبقى .

والفراغ للتأمل والتفكير في شئون الخلق وسنن الكون ، وتلاوة القرآن والاشتغال بالعلم يهدي للتي هي أقوم لصلاح الأمور ودفع الشرور ، وهداية الناس إلى الحق .

وطاعة النفس الأتارة بالسوء النزاعة إلى الأثرة ، تفرى المرء بالردائل والسيئات التي تملأ القلب بالهم والحزن والخوف والغضب والحقد . وهذه للشاعر الخبيثة تعنى البدن ، وتبلى الأعضاء ، وتضر الأنسجة أكثر مما تضرها أنقع السموم ؛ لأنها تثير الغدد ، وتفسد الأخلاط ، وتضعف الشهية ، وتموق الهضم ، وتزيد النبض ، وتقضى الأوعية ، وتشد العضلات ، وتسد المسالك والقنوات ، وتمهد لكثير من الأمراض كالسرطان وقروح المعدة والأمعاء وداء السكر والقلب ونزيف المخ والأرق والصداع .

والقول بأن الهموم سموم حقيقة واقعة لا مجاز فيها . وترباها السكينة والرضى والبر ، وإشراق القلب بنور الفضائل والحسنات . وكلها عواطف خير ، تبسط العضل ، وتريح البدن ، وتفتح الشهية ، وتعين على الهضم ، وتنظم النبض ، وتفيد الجسم خيرا مما تفيد أحدث الأدوية التي قد لا تخلو من ضرر : « ونزل من القرآن ما هو شفاء » وإذن في الفضائل خير دواء لسموم الرذائل والسيئات .

وزين العقيدة يضعف الإيمان ويفتح مزالق الشيطان ؛ فيميل القلب إلى الدنيا وزينتها من الجاه والمال والبنين .

ومن بركات رمضان أنه يعين على صفاء الروح من الأكدار والأوزار ، فتسمو على نزوات البدن وشهوات النفس ونكد الدنيا ، وتجذ من حلاوة الإيمان ما يفيض على البدن صحة ، والمقل هدى ، والنفس سكينة .

\*\*\*

والصحة بمعناها الأعم لا تكمل للمرء إلا إذا استمتع البدن بالصحة ، والمقل بالمعرفة ، والنفس بالرضى ، والروح بالإيمان . وإلا إذا انتسب إلى أسرة سعيدة وجماعة رشيدة ، وأمة آمنة في عالم يسوده السلام . وعلى ذلك فإذا مرض البدن ، أو جهل العقل ، أو سخطت النفس ، أو كفرت الروح بالله وبالحق والخير والقيم العالية ؛ فلا صحة ولا سعادة بين الناس . وكذلك إذا شقت الأسرة ، أو ضلت الجماعة ، أو خافت الأمة في عالم يتوقع الحرب ؛ فلا صحة ولا هناءة للبشر .

قال ابن سينا : « الطب حفظ صحة برء مرض » فحدد وظيفة الأطباء تحديداً



سبق به أطباء اليوم بألف سنة ، حين قدّم حفظ الصحة على علاج المرض . وحفظ الصحة يقتضى أن يلم الأطباء بكل ما يتصل بمعيشة الناس وحياتهم ، وألا يقصروا جهودهم على برء المرض ؛ لأنهم رعاة الصحة وحماة الحياة . ولما كانت الصحة بمعناها الواسع العميق لا تتم إلا بسعادة الأسرة ، ووئام الجماعة ، ورخاء الأمة ، وسلام العالم ؛ وجب على الطب أن يَدْخُل السياسة ضمن نظامه ، ويبذل فيها بعض نشاطه حفظاً لصحة المجتمع وحياة البشر .

وعالم اليوم لا يكفل للناس حياة راضية ولا كريمة ، وإنما يوفر لهم عيشة الضنك والشقاء ، وينذرهم بالشر والفناء . وهنا تأتى مسئولية الأطباء عن إنقاذ البشر من التهلكة . فهل هم أكفاء لحل التبعة وأداء الأمانة التى فى أعناقهم ؟

\*\*\*

والشر فى الناس قديم قام عليه ساسة من الذئاب ، وبثّة قادة من الشياطين لا يخشون الله ولا يبنون للناس خيراً ؛ زينت لهم الأثرة أن تشيع فى الأرض الفاحشة والبنفساء والمنكر ، وأن تقوم الفتن والحروب باسم الأجناس والألوان ، وباسم المذاهب والأديان والله يعلم أنها شهوة الجاه والسلطان ، وحب الدنيا وزينتها ، والأثرة البغيضة التى لا ترعى فى الناس إلاّ ولا ذمة . ولا رجاء إلا بالتوبة إلى الله ، والرجوع إلى الحق ، والعدل والمساواة بين الناس كافة .

ومن نكد الدنيا أن انهارت الحدود وزالت السدود واتسعت صلات أهل الأرض ، فأصبحوا جيراناً ولكنهم جيران سوء ، أهدروا حق الجوار بمكر الشيطان . ومن نكد الدنيا أن كشف العلم أسرار السموم المهلكة والذرة المدمرة من قبل أن يتعلم الناس الجدال بالحسنى ، ويحلوا الوئام والوفاق مكان النفاق والشقاق ، ويخلموا جلد الوحش وروح الشيطان ؛ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ، بل الذين كفروا فى عزة وشقاق .

\*\*\*

ولا نجاة للدنيا من سوء المصير إلا أن يهتدى الله الناس إلى شئ مما يلى :

١ - إنشاء هيئة الأمم المُنظمة ، تحمى المستضعفين في الأرض ، وتناضل عن حقهم حتى يرجع الجبارون عن غيهم ، ويردوا الحقوق المقتضية إلى أهلها .

٢ - هدم أصنام السلطان والطغيان والأموال والأجناس ؛ تلك التي يسجد لها في محراب هيئة الأمم المتحدة أهل النفاق والآثرة من عباد المطامع ، وتجار المنافع وذئاب البشر ، وعصبة الشيطان وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

٣ - دعوة الأديان كلها إلى الجهر بالحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونشر الإخاء والمحبة والإيثار ؛ حتى يخرج الناس من سطوة الشهوات ، وطغيان الطبقات ، وزيف المعتقدات .

٤ - اجتماع رجال التربية والأخلاق والاجتماع والطب وغيرهم من أهل النيرة على الإنسانية لكي يمدلوا مناهج تعليم الصغار بحيث لا تثير الأحقاد والبغضاء ، ولا تمجد غير المبادئ العليا والأهداف الشريفة والفضائل ومكارم الأخلاق ؛ حتى لا ينشأ الصغار على ضلال آبائهم فتتجدد الضغائن وتعود الفتن وتقوم الحروب !

٥ - وحين ترى الشعوب أن ساستها وقادتها كادوا يوردونها موارد التلف فإنها مستبدلة بهم حكما صالحين من ذوى الدين والمثل العليا والخلق الكريم .  
فلو أن الناس اهتموا إلى مثل هذا أو خير منه ؛ فبشرهم برحمة من الله ورضوان « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وإن الله على نصرهم لقدير ، والله عاقبة الأمور .

### القول السديد

تكلم وسدد ما استطعت فإنما كلامك حتى والسكوت جاد  
فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد  
« أبو الفتح البستي »

## حَامِلُ الْعُطُورِ

للأستاذ محمود جعفر الجبالي

هذه صورة حبيبة إلى قلبي ، فمكثنا سميت ذلك الرجل الذي كان يقف إلى جوار الكعبة المشرفة أحياناً ، ويطوف بها أحياناً ويده إناء العطور .

هو رجل كهل ، لعله جاوز الثمانين ، ضئيل القامة ، نحيف الجسم ، يلبس فوق ثوبه معطفاً قديماً حال لونه من كثر الأيام وتماقب الليالي ، بظهره انحناء خفيفة ، لا شك أنها طابع تلك السنين الثمانين . . . يضع على رأسه عمامة كبيرة لا نظام فيها ، إلا أن فيها كل الجمال والجلال ، ويضع على عينيه منظاراً سميكاً يستعين به على مجاهدة الحياة .

ولقد أسمىته بحامل العطور . . لأنني مارأيته مرة إلا كان حاملاً علبة صغيرة ، علمت — بعد الملاحظة — أنها تحتوى عطرأ . ولقد تموّد الرجل أن يطوف بالكعبة المشرفة بين المغرب والعشاء . وهناك ، لدى أول بيت وضع للناس ، كنت أراه في تلك الفترة يطوف ، يسرع أحياناً ، ويبطئ أحياناً ، وإني لأراه الآن بعين الخيال يحبّ في سيره مهرولاً ، على قدر ما تسمح به ساقاه ، وأرى عمامته الكبيرة المتهدلة تهتز بانتظام وتوافق مع انتقال خطواته في المطاف .

ولقد لفت نظري إلى الرجل ، ما ارتبط برؤيته في كل مرة ، فقد كان الجو يعبق بشذى عطري جميل كلما رأته . . وكانت النسبات الخفيفة الرقيقة التي تسمح به وس الطائفين بين الغروب والعشاء تحمل ذلك العطر في طياتها ، وتنشره في سماء البيت العتيق .

وكنت أطوف ذات يوم ، قرأته في المطاف ، إلى جوار الحطيم ، ذلك الجزء المسوّر بجوار الكعبة المشرفة ، ولحمت بعض الطائفين يمدون يدهم إليه . . فيغمس الرجل إصبعه في الإناء الصغير الذي بيده ، ثم يمرّ به على اليد الممدودة إليه . .

وزاد بي الفضول ، فما إن وازيت الرجل حتى مددت إليه يدي . . .

وغمس الرجل إصبعه في الإناء . . ثم أمره على يدي . فترك على ظهرها آثار ذلك المطر الشذى .

وهنا أدركت السر . . من ذلك الجو المطري الذي تعبق به سماء السكبة المشرفة بين حين وحين . . . وأدركت سرا آخر . . لعل قليلا ممن تناولوا المطر قد أدركوه أيضاً . . .

لقد كانت اللمسة الخفيفة التي مرت على يدي من إصبع حامل المطور أشد فعلا من الكهرباء ، لقد أثرت في تأثيراً غريباً . . حتى لا أظن أنني استطعت أن أنجيه عن فسكري باقي أشواط المطاف . . لقد شعرت بأن تلك اللمسة الرقيقة الرقيقة ليست من يد بشرية ، بل خيل إلى أنها من يد ملاك ، أو من يد قد تطهرت من كل آثام هذه الدنيا ومن كل أظلماءها . . .

وقلت لنفسي . . . ما أجدر هذه الصورة بالتسجيل . . .

هذا السكهل الضئيل ، بزيت الغريب ومنظاره السميك . . يرى بين المغرب والمشاء إما طائفاً أو واقفاً إلى جوار الحطيم . . يمر به الطائفون وهم في صلاتهم ونسكهم . . فيمد البعض إليه يده . . ويغمس الرجل إصبعه في الوعاء الصغير . . ثم يمرها على اليد الممدودة إليه . . بكل ما تمثله الرقة من معان . . ولا تتجاوز هذه العملية كلها مدى الخطوة التي يخطوها الطائف في موازاة الرجل . . وهو لذلك يستطيع — فيما أقدر — أن يعطر ألوف الطائفين . .

وجملت أسائل نفسي . . من الرجل ؟ وما هوايته ؟ وما هي موارده التي تمكنه من ذلك العمل مجانا ؟ . . فالمطر ليس هينا . . وثمنه ليس بالقليل . .

وقلت . . لعله مستجد من نوع جديد . . أستغفر الله . . فقد راقبت الرجل كثيراً لعل أقف على بعض الطائفين وهم ينفحونه بشيء . . ولم أر من ذلك شيئاً أبداً ، فزادت حيرتي من أمر الرجل . .

وقلت . . لعله تاجر عطور آثر أن يعلن عن بضاعته بهذه الوسيلة . . فجملت

أطوف في أسواق مكة وأنجول باحثاً عن الرجل بين تجار العطور . . ولم أعر  
عليه فيهم . .

وقلت . . إني لسائل إخواني عن الرجل ، فلا شك أن منهم من يعرفه ، فيزيل  
ما بي من فضول . .

ولكني عدت فأشفقت على نفسي . . وعلى حامل العطور . . وعلى تلك الصورة  
الحلوة التي طبعها في ذهني إلى ما شاء الله ، وآثرت أن تظل صورته على ما هي عليه  
من غموض . . تاركاً تخيالي أن يفسر تفاصيلها ويلون خطوطها كيف شاء  
ومتى شاء . .

بل إني لأرجو ممن يعلم حقيقة الرجل . . أن يشفق بي كذلك . . فلا يبعث إلى  
بما يعرفه عنه . . فلقد قنمت من معرفة الرجل بتلك الصورة الغامضة . . وذلك الأثر  
الذي تركه في نفسي ، وتلك اللمسة الرقيقة التي عرفتني بحامل العطور . . .

### من حكم الهند

اثنان من الناس ينبغي أن يُتباعا منهما : أحدهما الذي يقول : لا ثواب  
ولا عقاب ولا معاد ولا بر ولا إثم ، والآخر الذي لا يملك شهوته ولا يستطيع  
أن يصرف قلبه ولا بصره عن شهوة ما ليس له ؛ فيرتكب الإثم ، ويقوده  
الحرص إلى الخزي والندامة في الدنيا ، مع المصير إلى الجحيم والمذاب الأليم  
في الآخرة .

# جَوَابُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمَسْأَلَةِ الشَّيْوَعِيَّةِ

لفضيلة الأستاذ مصطفى السباعي

المراتب العام للاخوان المسلمين بسوريا

من الواجب أن نبحث هذا الموضوع بكثير من الصراحة والحكمة والصدق ، فنحن هنا رواد حق في مؤتمر علمي محصور بين لفيف من أقطاب الفكر في العالمين الإسلامي والمسيحي ، لا في اجتماع عام يقصده الاستيلاء على عاطفة الجماهير بالخطابة المؤثرة والبيان البليغ .

إننا نحن المسلمين ننظر إلى الشيوعية من جهات ثلاثة :

١ - ننظر إليها كمقيدة ذات فلسفة مادية تنكر الروح وما وراء المادة ، وهي في ذلك تختلف عن الإسلام في أسسها وجوهرها ، ولا يمكن أن تلتقي معه في عقيدته وفلسفته . وجواب الإسلام على الشيوعية في هذه الناحية ، هو جوابه على كل فكرة خاطئة : أن يفندها بالحجة والمنطق ، وأن يبين ما فيها من انحراف عن الحق وخطأ في الواقع .

٢ - وننظر إلى الشيوعية كنظام اقتصادي اشتراكي ، يسمى إلى تحقيق العدالة بين طبقات الشعب ، ويمنع تحكم المال ووسائل الإنتاج في العمل والعمال على أسلوب خاص به . وجواب الإسلام على الشيوعية في هذه الناحية : أنه وضع نظاماً اشتراكياً واضح المعالم مستقلاً عن الشيوعية وعن الاشتراكية وعن الرأسمالية ، وهو في ذلك لا يحارب الشيوعية في كل اتجاهاتها الاشتراكية ولا يقرها في كل اتجاهاتها أيضاً ، كما أنه لا يحارب النظم الاقتصادية الأخرى ولا يقرها في كل تفاصيلها واتجاهاتها .

واعتقد أن الأديان كلها سبقت الشيوعية إلى الرحمة بالبائسين ، والإنصاف للناس ، والرغبة في تحقيق العدالة بين الجماهير ، ولكل ديانة وسائلها الخاصة بها

(\*) اسم الخطاب الذي ألقى في المؤتمر الإسلامي المسيحي المنعقد في « بمحمدون » ببلنات في شهر أبريل الماضي . انظر « في أفق العالم الإسلامي » هذا العدد

في تحقيق هذه الأهداف ؛ فلا ضير على كل من الإسلام والمسيحية أن تتفق معه الشيوعية في أهدافه الإنسانية النبيلة ، وإن كانت تسلك لذلك طريقا لا تقرأها المسيحية ، أو لا يقرأها نظام الإسلام الاشتراكي .

٣ - وننظر إلى الشيوعية كدولة ذات قوة وأهداف سياسية . وجواب الإسلام على الشيوعية من هذه الزاوية ، هو جوابه على كل قوة مسلحة تجاوره ؛ فإن سالت عقيدة المسلمين وكرامتهم واحترمت إرادتهم وسلطانهم على ديارهم ، سالمها الإسلام ولو كانت مخالفة له في العقيدة والنظام ؛ لأن الإسلام لا يفرض الحرب على كل من خالقه ، وإنما يضع هذا المبدأ الخالد العادل « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرموا وتقسطوا إليهم » وإن حاربت المسلمين في عقيدتهم وكرامتهم وديارهم أعلن عليها الحرب ، وأمر المسلمين بإعداد كل وسائل القوة لرد العدوان ، وشماره في ذلك هو المبدأ الذي لا يزال شرعة الأمم حتى اليوم « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

وإذا كان جواب الإسلام على الشيوعية المعتدية هو الحرب ، كان ذلك جوابه أيضاً على الديمقراطية المعتدية ، وعلى الصهيونية المعتدية ، وعلى كل قوة تعتدى على أرضه وحقه ، بل تعتدى على الأمن والنظام العام ولو كانت من أبنائه « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلا فاصلحوا بينهما ، فإن بفت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبنى حتى تنفي إلى أمر الله » .

وقد يقال : إن الشيوعية تتبنى الثورة والحرب كوسيلة من وسائل انتشارها ، وقد يكون هذا صحيحا وواقعا ، ولكنني أتساءل : أليس هنالك بجانب الشيوعية أنظمة ودول تعتمد على القوة وتثير الحروب ؟ ألم تعتمد الديمقراطية في بلاد الشرق العربي والإسلامي على القوة والبطش لتحقيق حكمها وسيطرتها ؟ ألم تسلك الصهيونية كل وسائل الحرب والتدمير والتقتيل للوصول إلى أهدافها ؟ وإذا كان من حق الديمقراطية الغربي أن يزعم بأنه يسعى للسلم ، وأن ينكر على الشيوعي إعداداته للحرب ؛ فإن من حق رجال الدين وقادة الفكر أمثالكم في هذا المؤتمر أن ينكروا كل وسائل البغي والعدوان ، وأن لا يخصصوا بنقمتهم فريقا دون فريق ؛



فذلك شأن السياسين الذين لا يرون أنفسهم ملزمين بالتقيد بمبادئ العدالة والحق والأخلاق دائماً وأبداً .

وقد يقال : إن الشيوعية بفلسفتها المادية تحمل مبادئ التدمير لكل القوى الروحية والأخلاقية في العالم ، وقد يكون هذا صحيحاً أيضاً وواقعاً ، ولكن من حقنا أن نتساءل هنا ألم تنحرف الديمقراطية في عصرنا الحاضر عن القيم الروحية والأخلاقية للشرائع والديانات ؟ ألم تسع الديمقراطية السياسية لتحقيق مطامعها وأهدافها بشره مادي يجانب روح الأنبياء ومبادئ الكتب المقدسة وشرائع الله ؟

أليست الصهيونية في مطامعها السياسية حركة مادية تجانب كل القيم الروحية والأخلاقية حتى في الشريعة اليهودية ذاتها ؟ فلماذا يقتصر مؤتمرهم على بحث الشيوعية المادية ولا يتناول الديمقراطية المادية والصهيونية المادية ؟ ... ولماذا يُطلب منا نحن سكان هذا الشرق الأوسط من عرب ومسلمين وشرقيين أن نحارب الشيوعية وحدها ، بحجة أنها مادية تحارب القيم الدينية والأخلاقية ، بينما نجد العالم الغربي المسيحي تسيطر على سياسته روح مادية لا تأبه إلا بمصالحها وسيادتها حتى أنها تبنت الصهيونية المادية وخلقتها وزرعها في بلادنا زرعاً بقوة الحديد والنار ، وبإغراء الذهب والدولار ؟ ...

أمن الممكن أن نطلب من جماهيرنا التي تكتوى بنار الصهيونية ، وتغنى فظائع الظلم والإرهاب الاستعماري في بلادها ، أن تصدق بأن الغرب المسيحي مخلص في محاربه الشيوعية لماديتها وخطرها على الأديان والأخلاق ، بينما هي تشاهد كيف تزدرى الدول الغربية بكل مبادئ الحق والعدالة في علاقاتها معها ، وتحتضن الحركة الصهيونية الباغية المادية كولي مدلل ينزل أبواه عند كل رغباته ومطالبه ؟ ...

أيها السادة :

لست أبعد عن الحديث حين انتقل من الكلام عن الشيوعية إلى الصهيونية ؛

ذلك لأن الصهيونية تعتمد على الشيوعية وتنشرها ، كما تعتمد على الديمقراطية وتدافع عنها لأن الصهيونية لا دين لها إلا تحقيق مطامعها ، وإنكم تعلمون أن الصهيونية كانت دعامة الحركات الشيوعية في أوروبا وأمريكا ، وأن الجاسوسية التي أفضت مضاجع أمريكا وانكلترا وغيرها من دول الغرب ؛ إنما يديرها ويسهر عليها صهيونيون كبار ، استطاع التحقيق أن يكشف القناع عن وجوه كثيرين منهم فأسلمهم إلى يد العدالة ، ولا يزال القناع قائماً على وجوه كثير من كبار الصهيونيين المواطنين في أمريكا وأوروبا ، وسيعلم الشعب الأمريكي والشعوب الأوروبية ولو بعد حين ، أن هؤلاء الصهيونيين الكبار لم يكونوا إلا خونة ومجرمين كباراً في حق أمريكا وأوروبا على السواء . وهذه العناصر الصهيونية القوية هي التي توجه سياسة الدول الغربية وتبسط سلطانها ونفوذها على كثير من الرؤساء والزعماء والنواب ودور الصحافة وبيوت التجارة في بلاد أوروبا وأمريكا . . . . وهي التي تتصل بأمانها في الشرق العربي والإسلامي عندنا وتبني الشيوعية لا إيماناً منها بالشيوعية ، ولكن استداراً لعطف الشيوعية الدولية وتأييدها كما فعلت في إقامة دولة إسرائيل . . . .

من أجل ذلك ، كان الحديث عندنا نحن في الشرق العربي والإسلامي عن الخطر الشيوعي مقترناً بالحديث عن الخطر الصهيوني .

إنكم أيها الأمريكيون والإنجليز والفرنسيون والكنديون والإيطاليون وغيرهم من زملائنا أعضاء هذا المؤتمر ، قد لا تشعرون بخطر الصهيونية ومحاربتها للأديان والشرائع ، وخاصة رجال الدين وأساتذة الجامعات منكم ، ممن لا يمارس السياسة ولا يمانى مشاكلها ، فاصمحوا لنا إذا نحن أبناء هذه البلاد ، أن نكشفكم بحقيقة هذا الخطر ، وعليكم أنتم يا رجال الدين وأساتذة الجامعات وأصدقاء الشرق الأوسط أن تفسحوا صدوركم لآلامنا ما دمتم تريدون منا أن نتعاون معاً على الخير ، وأن نسير في طريق واحدة تؤدي بالإنسانية إلى السعادة والسلام .

إن الصهيونية حركة مادية لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا بالقيم الروحية والأخلاقية ، وهي حركة سياسية تستغل كل الشرائع والقوانين والمثل العليا لتحقيق مطامعها في السيادة والملك .

وهي سياسة ميكافيلية تستبيح كل الجرائم الخلقية والاجتماعية من قتل وتخريب وتشريد للوصول إلى غايتها .

وهي حركة عدوان تدبر الحروب ، وتثير المداوة والبقضاء بين الشعوب :

هذه هي الصهيونية في فكرتها وفي واقعها ، فإذا شككتم في ذلك فتمالوا لتروا الصهيونية بأعينكم خراباً وبيماً وتشريداً وإجلاءً وإفناءً ، تعالوا بنا نزر معكم أماكن اللاجئين لتروا آثار الصهيونية في جولاتها الأولى ، وهي الآن تستعد للجولة الثانية والثالثة وغيرها حتى تصل إلى ما تريد من إفنائنا كشعب ، والقضاء علينا كأمة ذات دين وحضارة روحية ومثل عليا .

ومن أجل ذلك نعتبر الصهيونية خطراً قائماً في قلب وطننا العربي والإسلامي ، ونعتبر كل من يساندها عدواً للحق وللأخلاق وللأديان ، ونحن حين نخوض ضدها معركة الدفاع ، إنما نخوضها لا من أجل أنفسنا وتراثنا وقيمنا الأخلاقية فحسب ، بل نخوضها من أجل الإنسانية كلها ، من أجل القيم الروحية والخلقية التي جاءت بها شرائع الله . ولئن كان الغرب المسيحي وقف حتى الآن موقف المؤيد المدلهذه الحركة بكل ما يستطيع من نفوذ ومال ، فإن العالم الإسلامي ليرى منكم يا قادة الروح في الغرب أن تحيوا شعور أممكم وشعوبكم ، وتوقفوا الضمير العالمي لإيقاف هذه الكارثة التي نشأت عن أكبر غزو إفنائي لنا في تاريخنا القديم والحديث .

أيها السادة :

لقد كان من الحق حين وضع في برنامج أبحاث المؤتمر موقف الإسلام والمسيحية من الشيوعية ، أن يذكر بجانب ذلك أسباب انتشار الشيوعية ووسائل مكافحتها ، وهو أمر لا بد منه ليكون لبحث هذا الموضوع نتائج عملية مثمرة . إن المريض لا يكتفى من طبيبه أن يقول له بعد معاينته « إنك مريض » ولكن يطلب منه أن يكشف له عن أسباب مرضه وأن يصف له علاجه الناجع ، وإذا كانت فلسفة الإسلام والمسيحية تجانبان الفلسفة الشيوعية المادية ، كان لا بد لانتشار الشيوعية في بلاد المسيحية والإسلام من أسباب أدت إلى هذه النتائج ...

١ - وأول هذه الأسباب - في رأبي - فساد الأنظمة الاجتماعية وخاصة في الشرق الإسلامي ؛ فإن انحطاط مستوى المعيشة والعلم والصحة ، والتفاوت الفاحش بين الطبقات ، وفساد أنظمة الحكم وانحراف الحكم عن سنن العدالة ، وطفنان روح التحكم والاستبداد في نفوسهم . ذلك كله من أكبر أسباب التذمر الذي يؤدي بالجمهير إلى اعتناق أية فكرة تظن فيها الخلاص من حالتها السيئة . إن الجماهير إنما تعني بمصالحها المادية قبل كل شيء ، وهي تفتش عن تحقيق هذه المصالح في دائرة أديانها ، فإذا رأت فيها المعجز والإعراض عن تحقيق ذلك تولت عنها وهي تفتش عن مذهب يمددها بالإفقاد ، وهي ستبته حتما ولو كان آتيا عن طريق الشيطان .

٢ - وثاني هذه الأسباب محاربة الديمقراطية الغربية لشعوب الشرق في أمانها التحررية والاستقلالية ، ومحاولة إبقائها تحت نير الجهل والظلام والعبودية ، وإشاعة حكم الارهاب والبطش في كثير من الأنظار المتحفزة للتحرر ، والقضاء على الحركات الشعبية النضالية ، وتشويه سمعتها بالاتهام بالشيوعية والانصياع لتحريض أجنبي .. كل ذلك كان له أثره في اتجاه الجماهير إلى نظام يمددها بالتحرر من سلطان الديمقراطيات وبطشها وإرهابها .

٣ - وثالث هذه الأسباب - وهو سبب خاص ببلادنا - ذلك التأييد الذي لقيته الصهيونية من الديمقراطيات الغربية ؛ حتى أصبح لها كيان مفروض في قلب الوطن العربي رغم إرادة سكانه وشعبه ، مما شرد مليوناً من سكان فلسطين ، وأشاع المرارة والخيبة في نفوس العرب والمسلمين ، وجعل أوساط اللاجئين أمكنة صالحة للشيوعية تزداد يوماً بعد يوم ، واغذروا هؤلاء اللاجئين أيها السادة : اعذروهم إذا تلفت أحدهم إلى زوجته فرآها أسيرة أو مفقودة ، وتلفت إلى أولاده فرأى البرد والمرض والسل يفترس واحداً منهم بعد آخر ، وتلفت إلى نفسه فرأى خيمته تقتلها الرياح وتنطفيها الثلوج ، ورأى جسمه تهدد الأمراض ، ورأى نفسه عاجزاً عن توفير الكرامة لنفسه وأطفاله .. إنه ليماني هذا كله وهو يرى بعينه أرضه تُزرع ، وداره تُسكن ، وأثاثه يُنهب ، ويرى أن ذلك كله نتيجة سياسة الديمقراطيات الغربية وحكمها وتأبيدها للصهيونية المحتلة لأرضه وداره ، فكيف يستطيعون أن تقنعوه مع ذلك بأن

يؤمن بأن هذه الديمقراطيات تحمل لواء الحق، وتمثل المعسكر الذي يعتقد بالله وبالروح والقيم الأخلاقية والدينية؟

إن اضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في أوروبا جعل نصفها يميل إلى الشيوعية أو يقع تحت قبضتها، فكيف لا تؤدي سوء أوضاع اللاجئين، وهي أسوأ بآلاف المرات من تلك، إلى اعتناق الشيوعية أو غيرها وهم في تلك الحالة من البؤس والشقاء؟

هذه هي الأسباب الرئيسية لانتشار الشيوعية، وبذلك يعرف الطريق الواضح لكماختها.

إنه لا سبيل لكم - لتكونوا عمليين مخلصين في نصرة القيم الروحية والأخلاقية - من أن تعلموا إنكاركم لاستمرار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة في أوساط الشعوب والجمهير، ومن أن تعلموا إنكاركم لسياسة الديمقراطيات الغربية في موقعها من أمانى الشعوب العربية والإسلامية، ومن أن تعلموا استنكاركم للصهيونية كحركة مادية فيها كل الخطر على السلم وعلى الأمن وعلى الأخلاق والدين في هذه المنطقة الحساسة من الشرق الأوسط. كونوا جريئين مخلصين أيها السادة في إعلانكم هذه الحقائق، وسنكون نحن جريئين مخلصين حين نعلن لكم أنه من العبث أن تفكروا بحمل شعوبنا على محاربة الشيوعية والوقوف ضدها، وهي ترى الدبلوماسية الشيوعية تنتصر لقضايانا في المحافل الدولية من حيث تحذلها الدول الديمقراطية الغربية.

لقد قال المستر « تشرشل » كلمة ذهبت مثلاً في التاريخ يوم اعترض عليه بعض الناس حين مدّ يده إلى روسيا في الحرب ليتعاون معها على حرب ألمانيا، قال: « إنني مستعد لأن أتحالف مع الشيطان في سبيل الوصول إلى النصر » وتعاون الحلفاء يومئذ مع الشيوعية خلال مدة الحرب العالمية الثانية، وما كان تحالفهم مع الشيوعية الفكرية ولا مع الشيوعية الاقتصادية، وإنما كان مع الشيوعية القوية المسلحة لأن مصلحتهم التقت مع مصلحتها في هذا التعاون، ونحن اليوم لا نريد أن نفرض سيطرتنا ولا انتصاراتنا على الشعوب، وإنما نريد أن نصل إلى حقنا... نريد أن نطمنئ على

حرياتنا وكراماتنا . . إن من حقنا أن نعيش أحراراً في فلسطين وسوريا ولبنان والأردن وفي العراق وفي مصر وفي ليبيا ومراكش وتونس والجزائر وفي كشمير وفي أندونيسيا وفي كل بلادنا العربية والإسلامية . نريد أن نصل إلى هذا الحق الذي تحاربه الديكتاتوريات الغربية المسيحية حرباً تنكرها مبادئ الديانات وشرائع الله ، فهل نلام إذا نظرنا إلى مصلحتنا المشروعة في مهادة كل من يعترف لنا بهذا الحق ؟ . . .

سيذهب كل جهد لكم عبثاً ما لم تملنوا قراراً في هذا المؤتمر جريئاً واضحاً في هذه القضايا كلها ، وعندئذ تنالون احترام العالم وثقته ، وتسيرون في طريق التعاون الثمر المفيد بين الإسلام والمسيحية ، لرد الانسانية الجامعة إلى الله ، ولتدعيم القيم الروحية التي لا يقوم بناء العالم الحر الكريم إلا على أساسها .

وإذا لم تفعلوا ذلك فتقوا — وهذه كلمة لا أقولها كسياسي فحسب — بل كرجل مسلم يشترك في أكبر حركة إسلامية في العصر الحديث ، يفضو إليها ملايين الشباب الأقوياء المؤمنين في دنيا العرب والإسلام — أقول لكم تقوا أننا لن نسير مع الغرب خطوة واحدة في مكافحة أية حركة مادية كقوة سياسية ، ما لم يثبت لنا الغرب عملياً حسن نيته وصدق إخلاصه في التخلي عن مناصرة الصهيونية حتى ندرأ أخطارها عن بلادنا وعن العالم كله ، وفي الاعتراف بحقوقنا كاملة في السيادة والاستقلال ، حتى نتعاون معه تعاون الحر مع الحر ، والكريم مع الكريم ، لا تعاون العبد مع السيد ، والدليل مع العزيز ، والمظلوم مع الظالم .

هذه كلمة نقولها اليوم رجاء أن تحتل من قلوبكم مكان الاقتناع والتأييد، فتكونوا أنصاراً للحق في أوساط شعوبكم ، تجهزون بكلمته القوية على مسمع من حكوماتكم ورؤسائكم ، وإلا فإننا نقولها اليوم للتاريخ .. وسيقول فيها التاريخ كلمته فيما بعد ..

اللهم وفقنا جميعاً للخير والحق ، وألهمنا رشدنا ، وهيئنا لإنقاذ الانسانية من طغيان السياسة على شرائع الله وآدابه . . .

# مع العارفين

عطاء بن ميسرة

هذه النفس ... نفسى ونفسك أيها القارئ ، فلا أظنك لو كنت معى إلا شاعراً بما أشعر ، ما حقيقتها ؟ ما هو هذا السر الذى يجعلها حين تصفو رجة تسع الأرض والسماء ... ويطويها حين تظلم فى بئر آسن لا يتنفذ إليه نور ولا هواء ... فكأنك بها حين تصفو نسمة طائرة تتجاوز السدود والحجب ، وكأنك بها حين تظلم شيء نافه يضيق بكل شيء حوله ، ولا يرى حوله إلا السدود والحجب ... ! ثم ما أتمس الإنسان إذا زُين له بعد ذلك سجنه فلم ير جدرانَه ! إن عالمه حينئذ هو هذه المنطقة الآسنة بين جنبيه ، تحد أمام عينيه كل ما يرى ، وتحكم فى نفسه كل ما يدلف إليها من خارج ! لا يعلم سر هذه النفس إلا الله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

\*\*\*

كان ذلك حديث نفسى وأنا جالس فى شرفة « بمحمدون<sup>(١)</sup> » ... وتحتها الوادى الأخضر الفسيح ... وإلى جانبي كتاب « الحلية » مفتوحاً على حديث « عطاء بن ميسرة » رضى الله عنه ، وبين أخباره القليلة عاشت نفسى لحظات فى أفق مشرق ، وفى جمال رقيق ندى ، ثم خلوت إلى القلم أستودعه شيئاً مما كنت أجده ، ولا أظنه يبلغ أن ينقله كما هو ... إلا أن يغمره السر العزيز الذى جعل فى النفس عواطفها ، وفى الوادى الأخضر جماله ، وفى عطاء بن ميسرة ما فيه مما ستوف تعلم !

\*\*\*

أجل يا أخى ... ليس كحديث « الرجال » حديث يحمل إليك المعانى الطائرة لتراها بعينيك ، لتراها ماثلة فى لحم ودم : فى إنسان مثلك عاش كما تعيش ، وما أقرب حينئذ أن تتحرك نفسك لتعيش كما عاش ، وهى ترى فى حاله حجة على حالك ، ومثلاً حاضراً



دبَّ على الأرض أياماً ثم مات ... مات ... هذه الكلمة الصغيرة الكبيرة ... والنهاية الحاسمة لعمر الإنسان مهما امتد ، ولزخرف الحياة مهما خدع ، وهي عنوان الحقيقة التي يغفل عنها أكثر الأحياء ، وتشغلهم عنها الأيام والليالي والسنون ، وهذه لو علموا هي المدة النافهة في عمر الكون ، والقنطرة الصغيرة إلى الشاطئ الممدود « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » !!

ولعل من خير ما يعين على إزالة هذه الغشاوة عن النفس ... أن تقرأ أخبار شخص « مات » ، وأن تقرأ من خلال ذلك ما صار إليه ، فإن من طبيعة هذه النفس ألا تنقطع صلتها بنفس مثلها وإن غاب شخصها ... ولا أزال أذكر كلمات سمعتها من الأستاذ الإمام الشهيد رضوان الله عليه في ليلة نديته بدار المركز العام ، وكان يتحدث عن الآخرة فقال : « ليدكر كل منكم ميتاً عزيزاً عليه ، وليسأل نفسه : ترى ألن نلتقي مرة أخرى ؟ ! وسيجد الجواب في أعماقها ... بلى سوف نلتقي ؛ وذلك هو برهان الآخرة !! » وأجل ما تكون الذكرى في النفس حين يكون صاحبها صالحاً راضياً ، وحين تكون أخباره من أخبار القيم الرفيعة التي لا تموت ، لا من توافه « دنياه » التي ماتت بموته !!

\*\*\*

يقول عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : « كنا نفرز مع عطاء ، فكان يمحي الليل من أوله إلى آخره إلا نومة السحر ، وكان إذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يسمنا ، يا عبد الرحمن بن يزيد ، يا يزيد بن يزيد ، يا هشام بن الغاز ، يا فلان ويا فلان ، قوموا وتوضئوا وصلوا ، فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد ، ومقطعات الحديد ! النجاة النجاة ! ثم يقبل على صلاته » . وروى ابن يزيد أنه سمعه يقول : « إن داود النبي عليه السلام قال يا رب : ما بيني إسرائيل إذا نزل بهم كرب أو شدة قالوا يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؟ فأوحى الله تعالى إلى داود أن إبراهيم لم ينجي بيني وبين شيء قط إلا اختارني عليه ، وأن إسحاق جاد لي بمهجته ، وأن يعقوب ابتليته ببلاء فما أساء بي ظنا في ذلك البلاء حتى فرجته عنه وكشفته » !

ويقول عطاء : « ذكر عيسى بن مريم هذه الأمة وخفة أحلامها وما لها عند الله من

الثواب ، فمجب أجابه من ذلك وسأله من ذاك ؟ قال : جرت على ألسنتهم كلمة استصعبت على الأمم قبلهم : قول « لا إله إلا الله » .

ويقول : « ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ، وبكت عليه يوم يموت » .

ويقول في تفسير قوله تعالى « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » :  
أي حسبك ومن اتبعك من المؤمنين الله ! وفي تفسير « وجوه يومئذ مسفرة » : من طول ما اغترت في سبيل الله ! !

ويعظ الناس يوما فيقول : « إني لا أوصيكم بدنيا كم فأنتم بها مستوصون ، وأنتم عليها حراس ، وإنما أوصيكم بآخرتكم . تملن أنه لن يمتق عبد وإن كان في الشرف والمال ، وإن قال أنا فلان بن فلان ، حتى يمتقه الله تعالى من النار ، فمن أعتقه الله من النار عتق ، ومن لم يمتقه الله من النار كان في أشد هلكة هلكها أحد قط ؛ فجدوا في دار المعتمل لدار الثواب ، وجدوا في دار الفناء لدار البقاء ؛ فإنما سميت الدنيا لأنها أدنى فيها المعتمل ، وإنما سميت الآخرة لأن كل شيء فيها مستأخر ، ولأنها دار ثواب ليس فيها عمل ! ... واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه فوالله لتفارقنها ، واجعلوا الموت كشيء ذقتموه فوالله لتذوقنه ، واجعلوا الآخرة كشيء تزلتموه فوالله لتزلفنها ، وهي دار الناس كلهم ، ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أهبته ، وتجهز له بجهازه ، وأخذ للحر ظلالة ، وللمعش مزادا ، وللبرد لحافا ، فمن أخذ لسفره الذي يصلح له اغتبط ، ومن خرج إلى سفر لم يتجهز له بجهازه ، ولم يأخذ له أهبته ندم ؛ فإذا أضجى لم يجد ظللاً ، وإذا ظمى لم يجد ماء يتروى به ، وإذا وجد البرد لم يجد لذلك لحافا ، فلا أرى رجلاً أندم منه ، وإنما هذا سفر الدنيا ينقطع عنه ولا يقيم فيه ، فأكيس الناس من قام يتجهز لسفر لا ينقطع ، فأخذ في الدنيا لظماً لا يروى ؛ فمن آواه الله في ظل عرشه لم يضح أبداً ، ومن أضجى يومئذ لم يستظل أبداً ، ومن قام فأخذ لرى لم يعطش أبداً ، فإن من عطش يومئذ لم يرو أبداً ، ومن قام فأخذ لكسوته لم يمر أبداً ، فإنه من عرى يومئذ لم يكس أبداً ! ! »

وإنك لتجد روحه الاجتماعية فيما يقول وروى ، فهو يرى من خير الذكر ما يعرف به الحلال من الحرام ، كي يستقيم الناس في حياتهم على ما أَرَادَهُ اللهُ ، وأثر عنه في ذلك قوله « مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام » ؛ وهو يعرف كيف ينشد حاجته فيمن يقبلون على وعظه ، ويوجه إلى ذلك تلامذته ، فيقول : « طلب الحوائج من الشباب أسهل منه من الشيوخ ، ألم تر إلى قول يوسف « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » وقال يعقوب « سوف أستغفر لكم ربى » !

وتراه في الحديث عن الزواج وأصوله التي لا يقوم إلا بها يوجز فيقول : « كل تزويج على غير هدى حسرة وندامة إلى يوم القيامة » .

وفي سنة الشر مع المكافحين له يقول : « لأميب أسرع إلى من يتحجر الخير من الدسم في الثوب الجديد » وهي صورة حية سواء عني بها عيبا يُتهم به المتمسك بالخير ، أو عيبا يتكشف له حين يتحجر !

وتبدو هذه الروح الاجتماعية فيما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرد برواية بعضه ... روى عن الحسن عن جابر أن الرسول قال : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا ؛ فأما الجار الذي له حق واحد فالجار المشرك لارحم له وله حق الجوار ، وأما الذي له حقان فالجار المسلم لارحم له وله حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق فالجار مسلم ذو رحم له وله حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم ، وأدنى حق الجوار ألا تؤذى جارك بقتار<sup>(١)</sup> قدرك إلا أن تقدح<sup>(٢)</sup> له منها » .

وروى عن ابن عباس « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حرمت النار على ثلاثة أعين : عين بكى من خشية الله ، وعين غصت عن محارم الله ، وعين سهرت في سبيل الله » .

وعن أبي عمران عن عائشة قالت : « كان أحب الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : عملان يجهدان نفسه ، وعملان يجهدان ماله ؛ فاللذان يجهدان

(١) القطار : ربح الشواء .

(٢) القدح من القدر : الغرف منها .

نفسه الصوم والصلاة ، والاذان يجهدان ماله الجهاد والصدقة » . وعن نافع عن ابن عمر « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » !

\*\*\*

ولفت نفسي في أخبار عطاء عاطفة الأخوة في الله عنده ، فهو مرة يقول لمريدية : « تماهدوا إخوانكم بعد ثلاث ، فإن كانوا مرضى فعودوهم ، وإن كانوا مشاغيل فأعينوهم وإن كانوا نسوا فذكروهم ، وكان يقال : امش ميلا وعد مريضا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة وزر أخا في الله » ومرة أخرى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما تواد اثنين في الله في الإسلام فيفسد ذلك بينهما إلا من حديث يحده أحدهما » وهو مرة ثالثة يروى عن أبي إدريس الخولاني أنه سمعه يقول : « دخلت مسجد حمص فجلست في حلقة كلهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم شاب إذا تكلم أنصت القوم له ، فقلت له حدثني رحمك الله ، فوالله إني لأحبك ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المتحابون في جلال الله في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله » قلت من أنت رحمك الله ؟ قال أنا معاذ بن جبل ! . . . وتجده مرة رابعة يروى عن أبي رزين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا أبا رزين زر في الله ، فإن العبد إذا زار أخاه في الله وكل الله به سبعين ألف ملك ؛ فإن كان صباحا صلوا عليه حتى يمسي ، وإن كان مساء صلوا عليه حتى يصبح . فإن قدرت أن تعمل جسدك في ذلك فافعل » .

\*\*\*

وإنك لتراه إلى كل ذلك عزيزا لاتأخذه في الله لومة لائم ، وفي ذلك يروى عن موسى عليه السلام « يارب مائة مائة موتة أموتها أهون على من ذل ساعة » !!

\*\*\*

رضى الله عن عطاء ، وألحقنا به في الصالحين .

## شئ عن البانيا المسلمة المنكوبة

[ نذكر هذه الكلمة التي جاءت من الأستاذ شوكت وهي الألباني بمناسبة الذكرى الحاسمة لاحتلال ألبانيا وقد نشرت كلمة عنها بالعدد الثاني من السنة الثانية ] .

تقع ألبانيا على بحر الإديرياتيكي فهي تمتاز بمركز استراتيجي هام إذ تعتبر المفتاح إلى البحر الأبيض المتوسط ودوله ، وقد كان من نتيجة هذه الميزة أن كانت معرضة للخطر والغزو والاحتلال من قرون كثيرة .

حين عاد أحمد زوغو إلى الحكم في ألبانيا وأصبح ملكها الشرعي عقد في سنة ١٩٢٨ معاهدة عسكرية مع إيطاليا الفاشستية لمدة ثلاثين سنة أصبحت ألبانيا بعدها شبه محصورة في المجال التجاري والحيوي عن بقية أنحاء العالم ، وقد استفادت إيطاليا كثيرا جداً من تلك المعاهدة فقد كانت تأخذ خيرات البلاد من بترول وذهب ومعادن مختلفة وغيرها بثمن بخس ، بينما كانت ألبانيا تحس بخناق من جراء تلك المعاهدة في أكثر الأحيان .

وبعد سنة ١٩٣٦ — وقد خيم على العالم ظل الحرب الثانية — أخذت إيطاليا الفاشستية تحاول الاستيلاء على ألبانيا لتجعل منها منطقة أمامية وجبهة قوية في الحرب التي ستنتشب بين الحلفاء والمحور وحلفائها ، على أن تعمل في نفس الوقت على تحويلها إلى منطقة إيطالية بمرور الزمن . وفملاً فقد أخذت ترسل إلى الملك زوغو الكتاب تلو الكتاب والرسول بعد الرسول تعرض عليه في هذه الكتب وبأولئك الرسائل أنها حقاً تطلب إزال جنودها إلى البر الألباني لكن لا للاستعمار وامتصاص الدماء بل لحماية البانيا لأنها في خطر ، أما الملك زوغو فكان يجيب على ذلك كله : إن بلادنا ليست في خطر ولسنا نخشى عدوا !

وحتى إذا فشلت الدبلوماسية الفاشستية في مطالبتها بسلام أخذت القوة العاشمة تدبر الأمر بالطريقة التي تعرفها ؛ ففي صباح يوم الجمعة ٧ نيسان ١٩٣٩ أصبح الناس في ألبانيا عامة وفي مينائي دوبري وفالونا خاصة أصبحوا على أريز خمسمائة طائرة تشق جوالفضاء مرسله القنابل على الآمنين ، ومائة وخمسين بارجة حربية قد فتحت أبواب

النار على الناس المدهوشين المدعورين ، فما كان يخطر ببال أحد أن إيطاليا الحليفة الكبرى تهجم دون إنذار أو إعلان قتال على دولة بسيطة تصغرها أربعين مرة . ورغم ذلك كله فقد ثبت الأحرار المزل إلا من سلاح قليل ضئيف خاصة في دورس وبستروا . ثباتا يصفه باختصار ( فلاديمير ديدير ) Fladimir Dedier في كتاب العلاقات الألبانية اليوغسلافية من ١٩٣٩ - إلى ١٩٤٨ - فيقول « وفي دورس حين حاول الفاشيون أن ينزلوا أرضنا من البوارج اضطروا إلى أن يغسلوها بدمائهم . إن ثبات الشعب وخاصة عمال معمل ستاملس ( Stamles ) في صفوف الجنود المحاربين قد طال كذلك أكثر من أربع ساعات ، لقد هجمت القوة الفاشية أربع مرات متتالية تزيد في كل مرة قوة ومددا . وفي المرات الأربعة ردت إلى بوارجها التي بدأت منها الزحف وقد تركت عشرات القتلى برصاص الجنود والعمال ، كما سقط بيننا خمسة عشر رجلا . عمر فورجيا من العمال ومويا الكناقو الرقيب من الجنود الذي ظل يحارب ويقا تل إلى أن سقطت أعضاؤه على الأرض وما أمسكت بها يده . وحتى يخفى الفاشست هزيمتهم بين جنودهم فقد خلعوا ملابس قتالهم وشاراتهم وغسلوا بالمضخات أرض الميناء ومدخل المدينة .

وفي بستروا ثبت الجنود والعمال والفلاحون ما يزيد على عشر ساعات في قتال قوة إيطالية ، فقتل منها أكثر من مائة جندي ، وفي ( ساراندا ) وشنين وغيرها لم يُستقبل الفاشست إلا بالرصاص .

رأى الملك زوغو ( وحكومته ) أن إيطاليا قد نقضت المهادنة وغصبت أرضا حرة وهدرت كرامة شعب فأرسل بواسطة رئيس مجلس الوزراء مهدي فراشوي - أرسل النداءات العامة إلى الشعوب الحرة لينجدوا ألبانيا ضد إيطاليا المعتدية ، ولما لم يستمع أحد إلى النداء ولم يبال بما حصل لم يجد هو وحكومته إلا أن ينادر بلاده ثاني يوم دخول الإيطاليين إلى بلاد العالم الحر . . . فيقيم اليوم في الإسكندرية مع مفتي أشقودرة فضيلة الشيخ الكبير صالح مفتيا حفظه الله ورعاه .

ومنذ دخلت إيطاليا البانيا في ذلك اليوم الحزين ( ١٩٣٩/٤/٧ ) لم تلق إلا شعبا بكرهها أشد الكره ، لم تلق إلا شعبا يريد القتال ، يريد الموت في سبيل الحرية فلم يصف لها يوم من مشاكل وقلاقل ، من اعتداءات متقطعة ومهاجمات فدائية أضرت بها في الكثير .

وكشال على كره الشعب للفاشيين الناصيين أذكر نموذجاً واحداً :  
حين زار الملك عمانويل تيرانا ( العاصمة ) في عام ١٩٤٢ ثار الطلاب والشعب في وجهه حتى ترصد له بعضهم ورماء بالنار ولكن لم يصبه ، حينذاك بدأت معركة الموت بين فرسان مسلحين يمزقون لحم ألبانيا وبين شعب يرى قلبه يتمزق فيريد تمزيق العدو ولو بيديه . فكنت ترى الفرد شبه الأعزل يجذب الفارس من قدمه حتى يوقعه أرضاً ، ثم يعمد في صدره السكين فيقتله قبل أن يملك هو أية حركة . حدث أحدهم فقال ما أن رأيت فارساً يمزق بمنجصره علم البلاد حتى فقدت شعورى وما رأيت إلا أنى قد جذبته عن فرسه فوق على الأرض وأعلت فيه السكين جهدى وكأنى ما فعلت شيئاً .

إن حزب الجبهة الوطنية والشعب الألباني هما اللذان بدءا القتال مع الطليان الفاشست من أول يوم حلت في أرضنا أقدامهم إلى أن كانت الثورة العلنية ١٩٤٣ فطردوا من البلاد .

أولئك الذين طردوا الطلائنة الفاشست من ألبانيا هم هؤلاء الوطنيون الأحرار ( في ألبانيا وفي المهجر ) الذين يعملون حقاً لحرية الشعب الألباني في حفاظه على الأديان والمعادن وموارث السلف من حب الوطن والموت في سبيل عزته .

هؤلاء الوطنيون الأحرار هم أمل الغد القريب أيضاً ، هم الأمل في إنقاذ ألبانيا من حكامها الشيوعيين الظلمة الذين يخونون الوطن ويهدمون الدين ويهدرون التقاليد .

هؤلاء الوطنيون الأحرار هم عدتنا بعد الله تعالى في إنقاذ البلاد قريباً بإذن الله من أولئك الذين يحكمون الشعب ضد إرادة الشعب .

والله معنا فلا يخيب لنا رجاء .

### استدراك

ورد في مستهل مقال « الأمة الواحدة » ص ٤٤ من هذا العدد هذا الخطأ المطبعي : « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » وتصحيحه « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » فاقضى التنويه .



# في أفق العمل الإسلامي

\* المؤتمر الإسلامي المسيحي

\* تحرير الهند الصينية... وحلف جنوب آسيا

\* وصاية أمريكا

## المؤتمر المسيحي الإسلامي :

غادر القدس إلى بيروت الأستاذ سعيد رمضان رئيس تحرير «المسلمون» والأمين العام للمؤتمر الإسلامي تلبية لدعوة المؤتمر الإسلامي المسيحي في بجمدون ، وقد عقد اجتماعاً صحفياً في فندق برستول بعد انتهاء المؤتمر أدلى فيه بالتصريح التالي :

« إن واجب الأمانة يقتضي أن أكون صريحاً في إعلان الخطر الشديد الذي يهدد قضية فلسطين وفي إنذار الشعوب العربية والإسلامية بأنه لم يعد يحدى في علاج هذه القضية الميوعة التي تراها ووسائل السياسات الرسمية التي جربناها ، فنحن في هذه القضية إزاء عدوان مسلح والسلاح لا يرد بالسلاح ، وإزاء عصابة أقامت دولة طبيعتها المدوان فلا يجوز أن نتنظر منها غير هذا وهي ماضية في عدوانها كل يوم تظاهرها السياسة الإنكلو - أمريكية الظالمة . والجولة الثانية من معركة فلسطين التي سندخلها رضينا أو كرهنا - وهي بالفلسة لنا معركة حياة أو موت - يجب ألا نعتد فيها بعد الله إلا على أنفسنا . نحن أكثر عدداً والمركة في أضنا والوسائل المادية التي تستلزمها المركة يجب أن تعد ، العرب والمسلمون مسؤولون أن يفكروا في هذه الوسائل أشد مما يفكرون في طعامهم وشرابهم . وإذا كان اليهود يقولون ادفع دولارا تقتل عربياً فيجب أن يعد المسلمون والعرب جوابهم العملي على ذلك .

وإن واجب الأمانة كذلك يقتضي هنا أن أكون صريحاً فأعلن أن طريق أعمال المؤتمر طريق شائك وأن العقبات أمامنا كثيرة ولا يجوز أن نواجه مشاكلنا بأمل كاذب ، بل يجب أن يعلم العرب والمسلمون أنهم بمقدار ما يبدلون ويضعون ستكون مقدرتنا على تحقيق أهداف هذا المؤتمر ولن نتردد في إعلان كل عقبة تعترض المؤتمر ولو أدنى ذلك بنا إلى غياب السجون ؛ فإننا كفار » بأنصاف الحلول » لقد بقيت أربعة أشهر بعد انتخابي أميناً للمؤتمر غير قادر على العمل - شهر منها لم أستطع أن أحصل خلاله على تأشيرة اللاردن والثلاثة الأخرى بالسجن الحربي بالقاهرة وقد أذنت لي الحكومة الأردنية مشكورة بدخول الأردن وسمحت لي الحكومة المصرية بالخروج من مصر .

وقد أصبح للمؤتمر نواة طيبة بكل قطر عربي وإسلامي ، ووصلت لجنة جمع المال إلى باكستان هذا الشهر . ولست أخفى عليكم أننا في حاجة إلى عمل كثير نحدد فيه ثقة العالم العربي والإسلامي بعد أن علمته التجارب الأليمة الماضية أن يشك في كل شيء .

ثم قال تعليقاً على المؤتمر الإسلامي المسيحي :

لم نتردد في تلبية الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي المسيحي الذي انعقد في بجمدون لأننا بحكم الإسلام

لا نرفض يداً تمتد إلينا بدعوى التعاون ، وواجبنا في سبيل تحقيق هذا التعاون أن نكون صرحاء في إعلان مشكلاتنا في مثل هذا المؤتمر وقد فعلنا ذلك وصارخنا بكل شيء . ، وقتلنا إليهم صورة كاملة عن شكوك الناس في غايات هذا المؤتمر ، وعن سخرية الناس بكلمة التعاون في وقت تبنى فيه السياسة القريية بكلتا يديها « إسرائيل » .

وقلنا لهم إن مثل هذا المؤتمر وإن كان غير سياسي في طبيعته التي حددها في كتاب الدعوة ، إلا أنه لا يمكن لأعضائه — مسلمين ومسيحيين — أن يتجاهلوا مبادئ العدل والكرامة والإنسانية التي أمتنتها الصهيونية في فلسطين ، كما لا يملك إلا أن يقر بأن أشد أسباب الشقاء الذي يعانيه العالم هو ظلم القوى للضعيف واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، والتعاون يقتضينا أن نزيل كل هذه الأسباب في الأفراد والجماعات وأن نكون أمناء في ذلك . وقلنا لهم كذلك إنكم إذا كنتم تعتبرون الشيوعية خطراً عاماً فإننا نعتبر الصهيونية خطراً عاجلاً بالنسبة لنا . ونعتبر القوة التي تظاهرها مسؤولية عما تعانيه . وموقفنا تحدده دائماً مصالحنا التي يجب أن نرعاها ، وقد كان أثر ذلك واضحاً في قرارات المؤتمر .

ثم إن هناك شيئاً آخر كان هذا المؤتمر عوناً في إعلانه وصريحاً في ذلك ؛ وهو أن التعاون بين المسلم والمسيحي لا يكون بإخفاء كل منهما لدينه وتجاهله لشرائعه والسكن بمصارحة كل منهما للآخر بعقيدته ؛ فإن الدين هو الضمان الوحيد لنظام الحياة . وقد كان مما قرره المؤتمر ألا يقتصر الدين على أما كن العبادة بل أن يمتد سلطانه إلى المدرسة والصحافة والاجتماع والسياسة ، ولعل ذلك يحل عقدة التفائق التي سهر السياسيون في كل مكان على حمايتها ، وكانت نتيجة هذا التحلل والمبوعة والعبث الذي نراه في سائر أوضاعنا . والمسلمون من جانبهم حين يتمسكون بإسلامهم كاملاً يتمسكون بفريضة الله فيه بحسن المعاملة بين المسلم وغير المسلم على قاعدة من الصدق المتبادل واحترام الكرامة والله يقول : « فاستقيموا لها ما استقاموا لكم »

هذا وقد حضر المؤتمر حوالي ٧٧ نصفهم مسلم والنصف الآخر مسيحي ، وكان من بينهم عدد من الشخصيات ذات المركز والنفوذ في العالمين الإسلامي والمسيحي ، ومن المجموعة المسيحية نفر من مديري الجماعات وأساتذتها ومن كبار قس الطوائف المختلفة . واستمر انعقاد المؤتمر ستة أيام أقيمت خلالها بحوث ضافية في موضوعات شتى تتصل بشئون الفرد والعائلة والمجتمع وتوجيه الشباب إلى الدين ، وتجنب المؤتمر الحديث حول الخلافات القديمة متوخياً المجالات التي يمكن فيها التعاون دون خلاف . كما تجنب في قراراته التعرض للشيوعية بهجوم صريح رغم أن البرنامج المعد من قبل كان قد خص يوماً كاملاً للحديث والناقشة حولها ، وسبب ذلك أن أغلب المجموعة الإسلامية — ومنها عدد من المجموعة المسيحية — رأوا في التعرض للشيوعية اتجاهاً سياسياً لا يجوز للمؤتمر أن يتورط فيه ، كما لا يجوز لمصالح المسلمين أن تضار بسببه ؛ ومما قاله مندوب الإخوان المسلمين في المؤتمر : إن الخطر الأشد والباشر بالنسبة للعالم الإسلامي الآن هو خطر الصهيونية ، وخطرها هو خطر استئصال كامل لشعب بأسره ، وإن دول الغرب المسيحية هي التي احتضنت الصهيونية وأقامت دولتها ولا تزال تحببها متجددة مشاعر المسلمين جميعاً وضعيفة في سبيل ذلك بصداقة العالم الإسلامي ، ثم إن التعاون الذي يفشده مثل هذا المؤتمر بين المسلمين والمسيحيين لا يمكنه أن يفعل كبرى مشكلاته وخاصة إذا كانت مشكلة تتمثل فيها الصهيونية المثل العليا التي أقرها كل دين . ومما قاله مندوب الإخوان كذلك إن ظلم القوى للضعيف واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان لا يقلان خطراً عن الإلحاد في تهديد سلام العالم وأمنه .

والذي لا شك فيه أن حضور مثل هذا المؤتمر يفيد من نواحي مختلفة ، منها إعطاء صورة حقيقية عن المشاعر الجديدة الحية في العالم الإسلامي ، ومنها تبديد الصورة الخاطئة التي تصور الحركة الإسلامية في العالم المسيحي بصورة التوحش والتمصب الأعمى والحقن المسلح ، فإن مثل هذا اللقاء يعطى المندوبين المسيحيين فرصة للاتصال بدعاة الإسلام ، كما أنه يعين في إطفاء خدة الخوف من الإسلام في الرأي العام المسيحي وهذه خطوة لا بد منها في طريق دعوة الإسلام ، على ألا يكون ذلك طبعاً على حساب المصالح الحقيقية للمسلمين ، ولا بفيلة نفراط بها في شيء من عقيدتنا أو شرائع ديننا — وبما يدل على ما ذكرناه من فوائد المؤتمر من هذه الناحية ما قرره المؤتمر حول الحاجة الماسة إلى تشكيل لجنة تتولى مكافأة المؤلفات التي شوهت حقائق الإسلام عمداً وبأسلوب غير كريم ، فقام بعض المندوبين المسيحيين بطلب معالجة المؤلفات التي ألفت عن المسيحية وحدث فيها مثل ذلك ، فأبدينا ترحيبنا بهذا إن وجد شيء منه !

وتكونت المؤتمر لجنة تنفيذية من ١٦ عضواً أسلمين ومثلهم احتياطيين في حالة غياب أحدهم ، نصفها مسلم ونصفها مسيحي ، ومهمتها مواصلة العمل لتحقيق فكرة المؤتمر ، وتقرر أن تمعد دورة المؤتمر القادمة سنة ١٩٥٦ وينتظر أن تكون في طهران .

\*\*\*

### هدفنا :

يؤمن المؤتمر الإسلامي المسيحي المنعقد في محمودون بأن من أسباب الخلاف الأساسي المتفعل تخلف الناس عن الاندفاع بالقيم الروحية في مختلف دياناتهم ، حتى لقد رأينا الأمم التي هي أقل تأثراً بنتائج ذلك التخلف قد وقع منها في أحيان كثيرة ظلم القوى للضعيف ورأينا الأمم القوية قد اخفقت في الاعتراف بحقوق الأمم الضعيفة واحترام أمانتها . وفي هذه المناسبة نعتقد نحن المؤمنين بالله تعالى وبوساياه أنه أصبح لزماً علينا مجابهة تيارات الإلحاد والمادية التي تنسرب إلى الجماعات والأمم .

وقد وضع المؤتمر أن هنالك ميداناً فيسجاً يمكن فيه تنمية التعاون بين ديانتى الإسلام والمسيحية ؛ فسلطانا نعتقد بالله الواحد .

ونحن مع استمساكنا التام بمقائدتنا الخاصة نقول بأنه من الممكن التعاون بيننا على ائهاج مسالك ناجمة نستطيع عن طريقها لبصالة تعاليم ديانتينا وأدامها لأجيالنا الخاصة الناشئة .

لذلك ، نحن المؤتمرين في اجتماع عام في اليوم السابع والعشرين من أبريل سنة ١٩٥٤ مسيحية ، الموافق للاربع والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة ١٣٧٣ للهجرة ، أننا قد جعلنا من أنفسنا لجنة دائمة للتعاون الإسلامي المسيحي ، وأتينا نعلن برعاية الله أننا سنعمل بلا هوادة في جوالقة والاحترام المتبادل لحقوق الآخرين على تدعيم التفاهم والأخوة بين المؤمنين بالديانتين الإسلامية والمسيحية .

\*\*\*

### قرار :

إننا نحن المجتمعين في المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الأول في تاريخ العالم قد لمسنا لمس اليد المشكلات الخطيرة التي تكسح المنطقة المنعقد فيها المؤتمر . إننا نستكر أن يمزق العدوان والاضطراب الأرض المقدسة ، وليس هناك مكان في العالم أقل أمناً وسلاماً من موطننا أرض

السلام ، والأقطار المجاورة المقدسة لدى « الإسلام والسكنية المسيحية الأولى » أصبح يصيبها النداء وعدم الاستقرار . واللاجئون العرب المطرودون من بيوتهم والمحرّمون من ميراث آباؤهم وأجدادهم معرّدون في الأسف . إن يؤس هؤلاء شديد الوطأة على قلوبنا وضامئنا ، وقد تبدو للاجئين رسالة الرجاء التي تنادى بها والتعاون المشترك الذي تدعو إليه لبناء عالم أفضل سخرية وهم في حالة اليأس والفتوط . وعلى رغم ذلك يدعشنا ما نراه فيهم من قوة العقيدة والخلق الذي يتصفون به أنهم جيباً إلا القليل منهم لا يزالون على إيمانهم باق . وعلى اعتقادهم الراسخ بأن العدل والرحمة سينتصران أخيراً .

ونحن الذين شاهدنا نكبتهم نعمادهم أننا سوف لا ننسأهم ، وأننا عند رجوعنا إلى أوطاننا سنرفع أصواتنا منتصرين لهم ، وسنعت حكوماتنا والأمم المتحدة على اتخاذ اجراءات مسرعة لمودتهم إلى وطنهم والتمويس للذين لا يمودون ، وسنطالب أيضاً بعمل هذه القضية على أسس من العدالة والحق تضمن استقرار السلام في الأرض المقدسة حيث غلب عليها اليوم النزاع وسفك الدماء .

\*\*\*

### تحرير الهند الصينية . . . وحلف جنوب شرق آسيا :

كان لسقوط معقل ديان يان فو وأسر حاميته بعد حصار دام ٧ يوماً وقع الصاعقة على فرنسا وعلى معسكر الغرب ، خصوصاً أن المعقل سقط أثناء انقضاء مؤتمر جنيف لبحث مشكلتي توحيد كوريا وإقرار السلام في الهند الصينية مما أضعف كثيراً من مراكز مفاوضي الغرب حيال أقرانهم من الشيوعيين . . . حتى لقد عد المعلقون سقوط المعقل هزيمة لفرنسا لا تقل عن تسليمها للألمان في الحرب الأخيرة .

وسقوط ديان بيان فو أصبح الطريق ممهداً أمام الوطنيين لتحرير بقية ولايات الهند الصينية ، وهذا أمر طبيعي ما لم تتدخل دول الغرب لشد أزرها فرنسا فتدول الحرب كما حدث في كوريا ، فإذا ما حدث هذا فإن الصين الشيوعية سوف تخوض الحرب سافرة إلى جانب التوار . . . وعندئذ فإن انفجار برميل البارود وقيام الحرب العالمية يصبح أقرب إلى الحدوث من أى احتمال آخر . ونرى أن الولايات المتحدة سوف لا تسمح بتحرير الهند الصينية ، فإن هذا لو تم لكان ضربة قاضية للنفوذ الأمريكي في رقعة جنوب شرق آسيا التي يجيش فيها قرابة مائتي مليون من البشر ، ولأدى إلى حرمان معسكر الغرب من المواد الخام الهائلة التي تغلها الهند الصينية ، فنها يخرج قرابة أربعة أخماس محصول المطاط العالمي ، كما تحوى موارد ضخمة للحديد والنفاس والفحم ، وتنتج حاصلات الأرز والقطن وقصب السكر بوفرة هائلة . . . فلا يتصور أن تدع هذه الحاصلات والخامات تخرج من يدي العالم الغربي إلى أيدي الوطنيين ثم إلى يدي الاتحاد السوفيتي ، ولعل هذا هو سبب اهتمام الولايات المتحدة بحرب الهند الصينية اهتماماً لا تغالي إذا قلنا إنه يجاوز اهتمام فرنسا نفسها . . . إذ الواقع أن فرنسا لم تسكن تحمل العبء الحقيقي للحرب ، وهذا بفضل مئات الملايين من الدولارات الأمريكية التي تقدمها عليها ؛ فقد اعتمدت ١٠٠٠ مليون دولار عوناً لفرنسا هذا العام ومثلها في العام القادم ، وبفضل جنود الفرقة الأجنبية وجيوش المستعمرات الذين دفعت بهم فرنسا وقوداً بشرياً في أتون المعركة لينالوا شرف الدفاع عن النفوذ والحضارة الفرنسية — ومنهم عشرات الألوف من إخواننا مسلمي المغرب العربي .

ولسكن الولايات المتحدة رغم اهتمامها البالغ بمصير الهند الصينية فظن أنها سوف تحرس على





وصاية أمريكا :

تضمنت الأنباء الخارجية خبرين في وقت واحد لهما مغزى واحد .

فقد احتجت الحكومة الأمريكية لدى حكومة لبنان وهددتنا بقطع المون التي عنها لأنها رخصت لتاجر لبناني أن يبيع نافلتي بتقول لبولندا ، وقالت إن لبنان تلزم بحكم اتفاقية المونة الاقتصادية التي تلتاقها منها بالأمتثال مع دول الكتلة الشرقية في المواد الاستراتيجية ، وهي المواد التي يفتنح بها في المجهود الحربي .

واحتجت الحكومة الأمريكية أيضاً لدى دولة جواتيمالا بأمريكا اللاتينية لأنها استوردت شحنة من الأسلحة من إحدى دول الكتلة السوفيتي وهي بولندا .

يحدث هذا في الوقت الذي تزاوّل فيه بريطانيا - شريكتهما في زعامة العالم الحر - التبادل التجاري على نطاق واسع مع دول الكتلة الشرقية وخصوصاً الصين الشيوعية ويشمل التعامل سلباً « استراتيجية » .

ومن هنا نرى أن الولايات المتحدة تهدف من وراء ضروب المونة التي تقدمها للدول « المتخلفة » إلى ربط هذه الدول بعجائتها وفرض وصايتها على هذه البلاد التي لم تبلغ بعد رشدها السياسي والاقتصادي ، فتتخذ مشيئتها بشئونها الداخلية ، وتحجر عليها أن تتعامل تجارياً مع غيرها ، وتفرض عليها سلبها بقوة الاحتكار العالمي الذي تمارسه ، وتقتضي منها الثمن الذي تراه دون أن تحشى أي منافسة .

إن احتجاجها الذي لبنان درس آتى في الوقت المناسب لوقوفه إلى الحكومات العربية التي تورطت والتي ترمع التورط في الأحلاف والمعنونات الأمريكية ... وإن على حكومة لبنان أن تصمد أمام التهديد ، حتى لا تظفر الولايات المتحدة بإقرار هذا المبدأ الخطير الذي يضعنا فريسة للاحتكار الأمريكي الذي يسيطر عليه يهود « وول استريت » .

أما مسألة أسلحة جواتيمالا فإن لها دلالتها الكبرى بالنسبة للعرب وقضية فلسطين بالذات : ذلك أن الولايات المتحدة خلقت لإسرائيل وزودتها بالسلح والدولار حتى وقفت على قدميها أمام الجيوش العربية التي كانت محرومة من السلح والمال ، وحتى أصبحت لإسرائيل قوة عدوانية ضخمة تحاول أن تنطلق من حدودها لتوسع رقعتها على حساب العرب الذين ما زالوا في فقر من السلح ، ولما كانت أمريكا والعالم الغربي يشترط لتقديم المون العسكري للعرب ألا يستخدم ضد إسرائيل ... فلا مفر إذن لنا من أن نجلب السلح للدفاع عن بلادنا ومقدساتنا من أي دولة ترضى أن تصدر لنا السلح . . . ولو كانت من دول الكتلة السوفيتية !

إن الولايات المتحدة تحاول أن تحتكر السوق العالمي مستهدفة من وراء ذلك إلى أن تفرض سياستها وتفوزها على الدول الصغيرة غير المتطورة ، ومن جهة أخرى إلى أن تجني أرباحاً ضخمة كنتيجة حتمية لتحكمها في السوق ، فتعوض بذلك ألوف الملايين من الدولارات التي تنفقها في جنون في أغراض التسليح .

## أخبار متفرقة

\* صدرت مجلة « الإخوان المسلمون » الأسبوعية ، وهي المجلة التي انتظرها العالم الإسلامي طويلاً ، ورأس تحريرها الأستاذ الفاضل سيد قطب و « المسلمون » ترحبوا للإخوان العزيزة كل توفيق في أداء رسالتها الجليلة وفي تحقيق الأعمال الكبيرة فيها .

\* استقر الرأي لدى الحكومة السورية على محاكمة أديب الشيشكلي رئيس الجمهورية الانتقالية الأخيرة وأعوانه من العسكريين والمدنيين أمام محكمة خاصة من تهمة اغتصاب السلطة وإشاعة حكم الإرهاب العسكري ، والزج بالجيش السوري في معترك السياسة ، ومصادرة الحريات الأساسية للشعب السوري كحرية الصحافة وحرية المنابر وحرية الاجتماع ، وفتح السجون والمعتقلات لمأرضيه في الرأي . .

وقد طلبت الحكومة السورية من الحكومة الفرنسية أن تلم إليها الشيشكلي الذي لاذ بها باعتباره مجرمًا عاديًا .

والمعروف أن أميركا كانت وراء حركة الشيشكلي الانتقالية .

\* أعلنت إدارة العمليات الخارجية الأمريكية أنها تعتزم أن تقدم إلى مصر في السنة المالية القادمة مبلغ أربعة ملايين و ٤٠٠ ألف دولار مقتضى مشروع النقطة الرابعة ؛ تحقيقاً لرغبة الحكومة المصرية في الإفادة من الخبرة الأمريكية .

\* ينظر البرلمان الليبي قريباً في إقرار معاهدة عسكرية مع الولايات المتحدة تخول لها إنشاء قواعد عسكرية مقابل دفع منافع سنوية يقدر بعشرة ملايين ونصف مليون دولار . . وهو نفس القبعة التي تدفعها بريطانيا سنوياً لليبيا . . ونذكر أنه قد جرت محادثات في هذا الشأن بين المسؤولين في ليبيا ومستر نيكسون عند زيارته لليبيا في العام الماضي ، ولكن المسؤولين الليبيين نفوا استعدادهم لمنح قواعد عسكرية لأمریکا . . والدور الآن على فرنسا !

\* أبرمت حكومة الأردن اتفاقاً مع الولايات المتحدة الأمريكية يتضمن منحها عوناً اقتصادياً . . ومن الطريف أن حكومة الأردن « تبرعت » لحكومة ليبيا بمبلغ ألف جنيه مساعدة لها لموازنة ميزانيتها !

\* دعا الملك سمود إلى عقد مؤتمر للدول الإسلامية للبحث في تقديم العون العسكري للقوات العربية في منطقة فلسطين ، وسيمقد المؤتمر بالقدس في موعد لم يحدد بعد ، وسيبحث المؤتمر مشكلة فلسطين بأكملها مستهدفاً توحيد رأى العالم الإسلامي إزاءها .

\* أكدت الدوائر الإسرائيلية صحة ما ذاع من أنباء تفيد أن إسرائيل قد حوت مسجد النبي داود عليه السلام القائم على جبل صهيون بالقدس إلى معبد يهودي ، وقد أخطرت وزارة الخارجية الأردنية هيئة الأمم المتحدة والبابا ودول الغرب بالحادث .

\* قال يعقوب هزوني أحد المتهمين بنفس السفارة الروسية وغضو إحدى الجماعات السرية الصهيونية أثناء محاكمته أمام محكمة تل أبيب العسكرية : إن الأسلحة التي ضبطت لدى جمعيتها للدفاع عن القدس ، ذلك لأنه لا يمكن أن تقوم إسرائيل بغير القدس كما أنه لا يمكن أن يمشي إنسان بغير قلب !



Islam does not favor the destruction of one evil if the result is merely to bring forth a more serious one.

In regard to the question of minorities, Islam had solved it more than thirteen centuries ago. We have already shown how Islam had destroyed religious intolerance and had imposed upon the Muslims the duty of protecting freedom of belief and of worship for non-Muslims in the Islamic homeland. It thus established a universal and open society for all faiths and races, in which all enjoy freely their own convictions and exercise what is known today as questions of personal status in accordance with their own faiths and before their own courts unless they deem it in their better interest to be for an Islamic court. What has happened is that a majority had preferred the rules of the Islamic Shariah and especially in questions of inheritance.

There remains transactions; in this sphere Christianity has provided no texts or provisions. The Muslims, therefore, conform to the Shariah in this regard as a religious duty, while non-Muslims accept it as a secular law.

It is probably better that Muslims regard it as a religious duty because evasion of the law would thereby be reduced.

\*\*\*

I have outlined the Islamic doctrines for the implementation of which the Muslim Brotherhood are striving in the Islamic homeland regardless of geographic or other barriers. For the Islamic homeland in its entirety is an indivisible unity according to Islam.

As a matter of fact the Muslim Brotherhood are no longer a local organization in Egypt or in other Islamic countries. They have become the symbol of an idea; the idea of a general Islamic revival and the restoration of Islam with a view to continuing on this earth the principles upon which it was originally based under the guidance of Muhammad ibn Abdillah, upon whom be peace.

ورد في مقال «برنامجنا الاقتصادي» خطأ في الكلمات الإنجليزية، الأولى ص ٤٩

كتبت Hoardiup وصحتها Hoarding والثانية ص ٥٤ كتبت Ecerwme order

. Natural Economic Order وصحتها natural

## *Facts About*

### THE MUSLIM BROTHERHOOD

(4)

The usury system inflicts an injustice upon the borrower of money for productive purposes, because it always places him in a weaker position vis-a-vis the money-lender. The latter always stands to gain from all the loan transactions because his profit is assured. The borrower on the other hand may gain or lose. By mathematical calculation it becomes apparent that after a sufficient number of such transactions, all the gains pour into the hands of the money-lender and the efforts of the producer go unrewarded. The result is the accumulation of capital in a few hands, and the deprivation of most of the inhabitants of their share, reducing them to the level of mere wage earners.

During the last five centuries this frightening result had almost been realized, and money made its way to the coffers of the few money-lenders in the world. Unless humanity destroys this unjust and distorted system it will be fatally devoured by it and fall an easy prey to the world money-lenders. This is what Islam had desired to avoid thirteen centuries ago before humanity had been alerted to this danger.

We need not dwell upon the colonial wars arising from the present interest-rate system. Russia has done away with it and Germany was on the way of dispensing with it before her defeat in the last war. The system had not escaped criticism from such economists as Harrod and Shackles and Hicus.

When there is a sufficient determination to save humanity from this anathema, economists will not find it impossible to base the world economy upon some other basis, which will establish a direct link between capitalists and producers in a joint and direct enterprise through companies, but excluding the intermediary-namely banks. All transactions, however, which lend themselves to gains or losses and in which there is no fixed profit are non-usury enterprises approved by Islam. In the course of establishing this sound and interest-free economy, Islam does not object to the necessary transition period for readjustment and consolidation.

are the door for all guests coming from outside. The first glance is the first knock. Your innerself, with its two parts, clay and spirit, is always ready to receive its guests . . . . . and each of its parts can taste its knock. It is in the first knock that the soul must be helped. Its weakness is often apt to make it fall. It is then your duty to keep it away from any trap. Do not try to teach it how to swim across the waves of evil. It is a very difficult job, if not impossible to be achieved. There is every possibility that it might be drowned in the attempt. Do not look to the left and say to your soul: "Towards the right is your way". Your look is nearer to your soul than your words. Your soul is much more magnetic and much more clever than you are disposed to think. "Look! look! Nothing in it. Don't be so weak." Your soul will say, and you will simply obey. Then will you hear it whispering "Deal with it, I will help you. Enjoy its goodness and retain self-control over the rest" . . . . . As you have obeyed the first piece of advice you will find it difficult to disobey the second . . . . . for you have already contacted it with the cunning evil through your first look. It taught you how to obey in the first step, and you offered it its sharp arm for the second. Guide your eyes if you are serious to guide yourself, and captain your first glance to repress the muddy notions in your cunning soul. A man is but a man my dear. God says;

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا .

"We had already beforehand taken the covenant of Adam, but he forgot; and we found on his part no firm resolve."

It has been since Adam that we have been sent down to earth. It has been since then that the struggle with the Devil became the subject of life, which needs to be waged with full care and extreme caution in order that we might return once again to our first abode, the eternal blissful-home. To the righteous soul on the Last Day will be said :

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي .

"O thou soul in complete rest and perfect contentment! Come back thou to thy Lord, well pleased thyself and well pleasing thou unto Him. Enter, thou, then, among My bondmen. Yea, enter thou My Heaven."

(to be continued).

# WHAT ARE YOU ?

By the Editor

— 6 —

## Change Companion

And in your very start, my dear, try to have some surroundings that can help you to march on and to keep clean. It is almost impossible for a single person to struggle alone among these huge waves of evil crushing from all directions and tempting beyond measure. A pure companion near you can help you great deal. He will be a living advice with a sweet atmosphere. God says to His Apostle, peace be on him, in the Holy Quran:

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ  
وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ  
عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا..

“And keep thy soul content with those who call on their Lord morning and evening, seeking His Face, and let not thine eyes pass beyond them to those who are seeking the pump and glitter of this life; nor obey any whose heart We have permitted to neglect our remembrance, who follows his own desires, whose case has gone beyond all bounds.”

The teaching that this Quranic injunction imparts to every believer is that he has to search for a society in temperamental harmony with the pure life he intends to have. Nothing can be more harmful than a bad fellow who is always a dangerous fungus in which evil can find a hot-bed to produce all manner of insinuating attraction to which one automatically falls victim in the due course of the devil's scheme. That is why you see that God had said in the previous injunction: “Let not thine eyes pass beyond them”. Mark; He has not said “thine soul” but “thine eyes”, and of course we cannot say it is a sort of exaggeration, because God never exaggerates. The fact behind this is certainly true. It reveals the masterly grasp of our innermost psychology exercised by the Creator Who knows best what He created. It tells that the eyes



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## محتويات العدد السابع

صفحة

أمل .....	لرئيس التحرير .....	١
تصحيح الجهاد .....	لساحبة الشبغ محمد البشير الإبراهيمي .....	٦
الجهاد .....	لفضيلة الأستاذ الشبغ محمد أبي زهرة .....	١١
الانحراف عن العقيدة .....	للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى .....	١٩
في ظلال السنة .....	للأستاذ عبد الوهاب حمودة .....	٢٤
كارثة فلسطين .....	للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس .....	٣٠
خاطرة : سياسة المحراب .....	.....	٣٥
إلى الحب والمحافظة .....	لساحبة الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي .....	٣٦
الأمة الواحدة .....	للإمام الشهيد حسن البنا .....	٤٤
برنامجنا الاقتصادي .....	للأستاذ محمود أبو السعود .....	٤٨
انتفع بتجارب الدعاة .....	بإشراف الأستاذ عبد البديع صقر .....	٥٦
أصحاب الفار « قصة تمثيلية » .....	للأستاذ علي أحمد باكثير .....	٥٩
حول السياسات الاقتصادية .....	للأستاذ عيسى عبده إبراهيم .....	٦٨
صوموا تصحوا .....	للواء الدكتور أحمد النافذ .....	٧٣
حامل العطور .....	للأستاذ محمود جعفر الجبالي .....	٧٨
جواب الإسلام على المسألة الشيوعية .....	للأستاذ مصطفى السباعي .....	٨١
مع العارفين : عطاء بن ميسرة .....	.....	٨٩
ألبانيا المسلمة .....	للأستاذ شوكت وهي الألباني .....	٩٤
في أفق العالم الإسلامي .....	.....	٩٧

What Are You ? ..... By the Editor ..... 1

Facts About The Muslim Brotherhood ..... 3

القهرس ..... ١٠٨